

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف و الترجمة، بنارس

المجلد (٤٦)	شوال المكرم ١٤٣٥هـ
العدد الثامن	أغسطس ٢٠١٤ م

المشـرف العام — عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر — أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صــوت الأمـة: بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تـالاب، بنـارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ تــرســل شيـكات الاشتراک بهذا الاسم:	دار التاليف والترجمة Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: **ALLA0210547**
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيــــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

محتويات العدد

الافتتاحية

عيد الفطر وبطاقات التهنئة

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

العيد مناسبة دينية وروحانية يحتفل به المسلمون مرتين في السنة كما أرشدهم إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم، ففي حديث أنس رضي الله عنه قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما. فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر". (أبوداود والنسائي بسند صحيح) وهي مناسبة فرح وسرور بإكمال صيام الشهر المبارك، يتقدم المسلمون فيها إلى ربهم بعواطف الشكر والامتنان على توفيقه ومنه وكرمه (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون – البقرة) وبعد تقديم آيات الشكر والامتنان إلى خالقهم ومنعمهم يتبادلون فيما بينهم بالتهاني والتحيات والأمنيات الطيبة، وألسنتهم لا تزال رطبا بحمد الله وتكبيره وتهليله. وبمرور الزمن تنوعت أساليب التهنئة ووسائلها، خاصة بعد القفزة التي قفزتها وسائل الاتصال في الفترة الأخيرة. ولا شك أن الظروف والمتغيرات لها دور لا يجحد في فرض بعض العادات والتقاليد على المجتمعات الإنسانية. ولكن مع هذا وذاك فإن الأيادي الخفية والنوايا الخبيثة قد تلعب لعبتها من وراء الستار، وتفرض أجندتها على الشعوب والمجتمعات بطرق ملتوية وأساليب ماكرة ووسائل هي في غاية من السر والخفاء.

بطاقات تهنئة العيد يعدها العادون من معطيات الحضارة الحديثة ومما لفظتها تطورات الزمن وعوامل الأيام ككثير من الأدوات والوسائل التي لقيت رواجا وقبولا بين الناس. وربما لم يخطر على بال كثيرين تلك المؤامرة التي دبرها المدبرون لتنفيذ خطتهم وترويج بضاعتهم في الشعوب المسلمة التي غزوها في عقر دارها، ونهبوا ثروتها المادية والمعنوية على السواء.

قصة طريفة وعجيبة – وإن كنا لا نجد فيها ما يبعث كثيرا على الحيرة والاستعجاب، لأن هذا دأب القوم – وصاحب هذه القصة هو المدعو: أحمد بخش شودري، وهو والد السيد جي. اے. شودري مدير صحيفة "نئي روشني" (النور الجديد) اليومية الصادرة من كراتشي. والمدعو أحمد بخش يحكي قصته قائلا:

"أنا أعترف بأنني كنت أخدم الحكومة البريطانية (التي استعمرت الهند) وكنت عميلا لها لأسباب خاصة. وكنت أقوم بأعمال مختلفة لصالح الانجليز في شبه القارة الهندية، وكنت أحصل بمقابل ذلك على فوائد مادية وتسهيلات مختلفة. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عرض أمامي السكرتير الانجليزي للداخلية بطاقات التهنئة بالعيد، التي طبعت في بريطانيا باهتمام خاص وجلبت من هناك. وكانت ملونة عليها صور الكعبة المشرفة والمسجد النبوي والبراق، ومكتوب عليها كلمة التوحيد. وقد أمرت ببيع هذه البطاقات، وأنني أستلم مكافأة مخصوصة على بيع كل بطاقة من قبل الحكومة البريطانية الاستعمارية، بشرط أن أبيع عدد خمسة آلاف بطاقة. وقد وجه إلي إنذار بأن لا أعطي أحدا هذه البطاقة بدون مقابل.

وبصفتي عاملا للحكومة كان لي أن أسافر بالقطار مجانا في كافة أنحاء القارة الهندية. وعلى طلب مني حصل ثلاثة أشخاص آخرين على الإذن بالسفر المجاني بالقطار أيضا. وهكذا تيسر لي أن أحصل على الأرباح بدون أن أصرف شيئا.

خرجت أنا وزملائي الثلاثة في رمضان المبارك من كولكاتا (عاصمة ولاية بنغال الغربية، إحدى الولايات التابعة للهند في الجهة الشرقية) إلى دلهي عبر القطار، وكنا ننزل في كل محطة كبيرة، ونبيع هذه البطاقات لأصحاب المكتبات التجارية والقرطاسية. وبهذا الشكل قمنا ببيع أكثر من خمسة آلاف بطاقة عيد في أقل من شهر، وقدمنا الحسابات إلى الداخلية وحصلنا على مستحقاتنا.

ثم خرجنا قبل عيد الأضحى بنحو شهر لنفس العمل، وفي هذه المرة قمنا ببيع البطاقات من كراتشي (شمالا) إلى رأس كماري (جنوبا) وفي السنة القادمة سلمت إلينا الداخلية عدد عشرين ألف من بطاقات التهنئة بالعيد، وكانت على هذه البطاقات في هذه المرة – إلى جانب صور المقدسات الدينية (مثل الكعبة والمسجد النبوي) –

صور الأطفال الجميلة وصور الفواكه والورود، وكان الأطفال في الملابس العربية، مع أن مظهرهم مظهر الأولاد الانجليز. وقد تم بيع كل هذه البطاقات بسهولة.

والبطاقات التي استلمناها للبيع في السنة الثالثة كانت صور الأطفال والبنات فيها بملابس قصيرة وبموضات جديدة. وفي السنة الرابعة من هذه السلسلة قمنا ببيع أكثر من خمسين ألف بطاقة، وحصلنا على أرباح طائلة. وعند ما سلم إلينا سكرتير الداخلية مستحقاتنا قال: لا تستلمون هذه البطاقات في المستقبل. وإن كنتم ترغبون في الاستمرار في هذا العمل فقوموا بطبعها وتسويقها. وقد حصل في السنة القادمة أن جاءتنا الطلبات من كافة أنحاء القارة الهندية من قبل دخول رمضان. وكنا قد اكتسبنا من الأموال بحيث أصبحنا نستطيع أن نوسع هذه التجارة. فقمنا بطبع البطاقات في المطابع المختلفة، وإن كانت هذه البطاقات في مستوى أقل من تلك التي استوردت من بريطانيا، ولكن مع ذلك خرجت بكمية كبيرة. ثم استمر الأمر على ذلك. وبدأت مطابع كثيرة بطبع هذه البطاقات، وانتشرت هذه التجارة الرابحة في البلاد انتشار الأمراض الوبائية".

وقف الشودري إلى هنا، وبعد أن تنفس الصعداء واصل قائلا:

"شعرت بعد فترة غير قليلة أن الحكومة البريطانية الاستعمارية استعملتني في أمر هو في غاية من القبح. وأنا نادم على أنني كنت وراء ترويج عادة سيئة هي كلها تبذير وإسراف. وملايين المسلمين يضيعون اليوم مليارات الروبيات على هذا التقليد. وإنني حينما أرى اليوم تلك الصور الفاضحة التي تنشر على بطاقات العيد أشعر بالخجل والعار، أن بداية هذا الفحش كانت بيدي. وإنني أعترف أنني عملت أعمالا كثيرة عظيمة لصالح الحكومة البريطانية، ولكن لم أعمل عملا هو في القبح والفحش مثل ترويج بطاقة العيد. والله إنه إثم كبير، وأرجو منكم جميعا أن تستغفروا الله لي، وأن تجتنبوا الوقوع في مثل هذا الفعل القبيح الذي وقعت فيه".

حكى السيد الشودري هذه القصة أمام موظفي صحيفة "النور الجديد" اليومية التي يملكها ابنه في عام ١٩٦٢م حينما عقدوا احتفالا لتكريمه. وقام بتحريرها السيد حارث غازي نائب مدير الصحيفة، وصرح في آخرها أنه لم يقم بإرسال أي بطاقة تهنئة للعيد بعد عام ١٩٦٢م منذ أن سمع هذه القصة.

نشرت هذه الحكاية جريدة الاعتصام الأسبوعية الصادرة من لاهور في عدد: ٢١/أكتوبر ٢٠٠٥م، ونقلها عنها الشيخ صلاح الدين يوسف في مقالته المنشورة في جريدة ترجمان الصادرة من دهلي في عدد: ١ – ١٥ / يوليو ٢٠١٣ م.

ليس القصد من إيراد هذه القصة إصدار فتوى بحرمة هذه البطاقات أو جوازها، أو منع الناس من التهنئة عن طريقها أو تحريضهم عليها. فهذا أمر يرجع إلى أهل الحل والعقد وإلى المخولين بالإفتاء وإصدار الأحكام الشرعية. وإنما قصدي عرض هذه القصة الواقعية ذات الدروس والعبر على القراء الكرام بمناسبة عيد هذا العام، ليعرفوا تلك الطرق الملتوية التي يلجأ إليها القوم لتنفيذ خططهم وتحقيق مآربهم. وليعرفوا مدى سذاجتنا وسهولة وقوع أبنائنا في حبائلهم. إن الأعداء يغزوننا برجالنا وبأسلحتنا وبأموالنا، أما سفهاؤنا وحمقانا – وما أكثرهم – فيكونون دائما مستعدين للقيام بتوجيه ضربة قاصمة إلى بني جلدتهم وإلى إخوانهم في الدين والعقيدة بمقابل زهيد ودراهم معدودة. إن الخونة المرتزقة لا يزال عددهم في ازدياد، وسوقهم في ازدهار. وقد بلغ بهم الوقاحة وقلة الحياء أنهم لا يبالون حتى بعد كشف أمرهم وفشو سرهم، بل يستمرون في خيانتهم ونفاقهم ومكرهم ودهائهم بعد نزول الماء من وجوههم.

فالمطلوب من أبناء الأمة عامتها وخاصتها، ورعيتها وقادتها أخذ الحيطة والحذر من هذا الطابور الخامس وكشف أمره وعدم التستر عليه، كما يجب في الوقت نفسه أن يكون الخاصة والعامة على معرفة بالوسائل والأساليب التي يغزون بها في بيوتهم وعقر دارهم. فالحرب النفسية قائمة على قدم وساق، والغزو الفكري أصبح سلاحا رخيصا لمحاربة الحق والعدل، ولإخراج جيل يعيش في معزل عن الدين والعقيدة والأخلاق، لا يعرف إلا الدنيا، ولا يهمه إلا المادة.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين. واخذل الكفرة والملاحدة والمبتدعة والمرتزقة والمشركين. واحم حوزة الدين. برحمتك يا أرحم الراحمين.

❖❖❖

مفهوم الحكمة في الدعوة

د. صالح بن عبد الله بن حميد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد:

فهذه كلمات في الحكمة والدعوة دعا إليها – في تقديري – ما يلحظ في الساحة من نشاط يقوم به رجال أفاضل يدعون إلى الله، ويلاقون في دعوتهم ما يلاقيه من يقوم بمهمتهم في الماضي والحاضر وفي كل حين، فهي سنة الله في الحاضرين والغابرين.

والدعوة إلى الله هي طريقة المرسلين. وقد لاقى أنبياء الله في ذلك ما لاقوا من العنت والصدود والإباء والاستكبار من لدن فئات كثيرة، وطبقات كبيرة من الملأ الذين استكبروا {قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين} [1].

وفي هذه الكلمات سوف ينحصر الكلام على الحكمة بيانا لمعناها وإيضاحا لمدلولاتها.

ذلك أن الحكمة إذا اقترنت بالدعوة فإنها تقوّي الأمل واليقين، وترتفع بالمدعوين إلى مستوى الشعور بالمسؤولية والتكليف، وإذا ما تأكد فيهم هذا الشعور فسوف تتغير طباعهم وتعتدل مسالكهم ويصح توجيههم. فحق على الداعي إلى الله أن يعمل على إيقاظ هذا الشعور.

هذا وسوف أعرض إلى تعريف كل من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ثم العوامل التي تحقق مفهوم الحكمة: من ضرورة معرفة طبائع الناس، وطبقات المدعوين، والنظر في الظروف الزمانية والمكانية، والأساليب القولية والعملية.

---

[1] سورة يوسف الآية ١٠٨.

تعريف الحكمة:

الحكمة مأخوذ من الحكَمَة – بفتح الكاف والميم – وهو ما يوضع للدابة كي يذللها راكبها فيمنع جماحها. ومنه اشتقت الحكمة قالوا: لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل [1].

والحكمة في حقيقتها وضع الأشياء في مواضعها.

وهذا تعريف عام يشمل الأقوال والأفعال وسائر التصرفات، ولعلك أخي الفاضل تدرك أن الحكمة التي نرمي إلى بيانها في هذه المقالة هي الحكمة التي ينبغي أن يتصف بها القائم بالدعوة إلى الله، ومن أجل هذا فهي غالبا ما تكون قولا في علم وموعظة أو تصرفا نحو الآخرين من أجل دفعهم إلى الخير أو صرفهم عن الشر.

وفي هذا المفهوم. يقول ابن زيد: (كل كلمة وعظتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة).

وأدق من هذا قول أبي جعفر محمد بن يعقوب: (كل صواب من القول ورث فعلا صحيحا فهو حكمة).

وفي تعريفات الجرجاني: (كل كلام وافق الحق فهو حكمة).

وفي قوله تعالى: (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا} [2].

ربطت الآية الكريمة بين الحكمة والخير، ووجه هذا الارتباط أن الحكمة تشمل المعاني الصائبة من السداد في القول والفعل.

وبمعنى آخر: فإن الحكمة إتقان العلم وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم، ومن شاء إيتاءه هذه الحكمة – أي خلقه مستعدا لذلك قابلا له، ومن سلامة التفكير واعتدال القوى والطبائع – فيكون قابلا لفهم الحقائق منقادا إلى الحق إذا لاح له، ولا يصده عن ذلك هوى ولا عصبية ولا مكابرة ولا أنفة. ثم ييسر له أسباب ذلك من حضور

---

[1] المصباح المنير ٥٦.

[2] سورة البقرة: ٢٦٩.

الدعاة وسلامة البقعة من المعاندين العتاة، فإذا انضم إلى ذلك توجهه إلى الله بأن يزيد أسبابه تيسيرا، ويمنع عنه ما يحجب الفهم فقد كمل له التيسير.

وحينئذ يتحقق له الخير الكثير في قوله سبحانه: {فقد أوتي خيرا كثيرا}.

فالخير الكثير منجر إليه سداد الرأي والهدى الإلهي، ومن تفاريع هذا الخير ما يتولد من قواعد الحكمة التي تعصم من الوقوع في الغلط والضلال بمقدار التوغل في فهمها واستحضار مهمها. لأنك إذا تتبعت ما يحل بالناس من المصائب تجد معظمها من جراء الجهالة والضلالة والرأي الآفن، وبعكس ذلك فإن ما يجتنيه الناس من المنافع والملائمات مجتلب من المعارف والعلم بالحقائق، ولو علم الناس الحق على وجهه لاجتبوا مواقع البؤس والشقاء [١].

يتبين من مجموع ما سبق أن الحكمة كلمة عامة تشمل الأقوال التي فيها إيقاظ للنفس ووصاية بالخير، وإخبار بتجارب السعادة والشقاوة، وكليات جامعة لأصول الآداب .... فهي معرفة خالصة من شوائب الأخطاء وبقايا الجهل في تعليم الناس وتهذيبهم وتوجيههم.

إنها اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحا مستمرا لا يتغير [٢].

إطلاقات الحكمة:

وردت كلمة الحكمة في نصوص الشرع مرادا بها ما يخدم المعنى السابق.

فوردت مرادا بها الكتب السماوية من القرآن والإنجيل وغيرها.

ومرادا بها النبوة، والهدى، والرشاد، والعدل، والعلم، والحلم والتفقه [٣].

الموعظة الحسنة:

يلحظ في التعريف السابق للحكمة أن الموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن داخلان في مفهوم الحكمة.

---

[١] التنوير والتحرير ٣ / ٦٤.

[٢] المرجع السابق ٣ / ٦٠ – ٦٣، ١٤ / ٣٥.

[٣] لسان العرب ١٢ / ١٤٠ – ١٤٢، المعجم الوسيط ١ / ٩٠، القاموس المحيط ٤ / ٩٨.

ولكن يحسن تخصيصها بمزيد تعريف وإيضاح لأن المقام مقام بسط لمفهوم الحكمة، وقد جاءا مخصوصين بالذكر في قوله تعالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن} [١].

وإذا كانا داخلين في معنى الحكمة بالمعنى السابق فيكون عطفهما في الآية الكريمة من عطف الخاص على العام.

والأصل في الموعظة أنها القول الذي يلين نفس المخاطب ليستعد لفعل الخير والاستجابة له.

والموعظة في معناها تدل على ما يجمع الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة، ولهذا قال ابن عطية:

(الموعظة الحسنة: التخويف والترجئة والتلطف بالإنسان بأن تجله وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضائل) [٢].

ويشير الزمخشري إلى معنى لطيف في هذا حين يقول: (إن الموعظة الحسنة هي التي لا تخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم).

والخلاصة أنها: تذكير بالخير فيما يرقّ له القلب [٣].

وهذه إشارة جميلة عرّض لها أهل العلم في السر في وصف الموعظة بالحسنة ولم يرد ذلك في الحكمة، فقد قالوا: قيّدت الموعظة بالحسنة ولم تقيّد الحكمة لأن الحكمة هي تعليم لمتطلبي الكمال من معلم يهتم بتعليم طلابه فلا تكون إلا في حالة حسنة فلا حاجة إلى التنبيه على أن تكون حسنة.

أما الموعظة الحسنة فلما كان المقصود منها غالبا ردع نفس الموعوظ عن أعمال سيئة أو عن توقع ذلك منه، كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ ولحصول انكسار في نفس الموعوظ.

---

[١] سورة النحل الآية ١٢٥.

[٢] التعريفات ١٣٢.

[٣] البحر المحيط ٥ / ٥٤٩.

ومن الوعظ الحسن إلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير: {اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى} [1].

الجدال بالتي هي أحسن:

الجدل في أصله: الاحتجاج لتصويب رأي ورد ما يخالفه. فهو حوار وتبادل في الأدلة ومناقشتها. وهو حال أوسع من الخصام والمخاصمة على أن المخاصمة نوع جدل من حيث هي تراد في الكلام والحجج.

ومن أجل هذا قال الجرجاني في تعريفاته.

الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو بقصد تصحيح كلامه قال: وهو الخصومة في الحقيقة.

غير أن الذي نعنيه هنا هو الجدال والمحاجة والحوار بما لا يرقى إلى الخصومة، إلا إذا اعتبرنا الجدال مع الظالمين خصومة، لأنه قد تجرد منه نعت الحسن، وإذا احتاج رجل الدعوة إلى الجدال فليكن بالتي هي أحسن.

وقريب من التوجيه المذكور في الموعظة الحسنة يقال هنا. ويكون حسن الجدال في الالتزام بموضوعيته، وبعده عن الانفعال، والترفع عن المسائل الصغيرة في مقابل القضايا الكبرى، حفظا للوقت وعزة للنفس وكمالا للمروءة، مع الحرص على الرفق واللين، والبعد عن الفظاظة والتعنيف، ويدخل في الجدال الحسن كما يقول الطاهر بن عاشور [2]:

(رد تكذيب المعاندين بكلام غير صريح في إبطال قولهم من الكلام الموجه: مثل قوله تعالى: {وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين} [3]، وقوله: {وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون} [4]).

❖❖❖

---

[1] سورة طه الآيتان ٤٣، ٤٤.

[2] التحرير ١٤ / ٣٢٥ – ٣٣٠.

[3] سورة سبأ الآية ٢٤.

[4] سورة الحج الآيتان ٦٨، ٦٩.

حكم هدايا العمال والحكام وعامة الناس

د. عبد الرحمن الجيران

أ – قد وردت أحاديث صحيحة بحرمة هدية الحاكم من قضاة ومسؤولين وغيرهم، وعدت من الرشوة التي صرح النبي صلى الله عليه وسلم بحرمتها، وأكل أموال الناس بالباطل، ولاسيما إذا كان هناك مصلحة للمهدي عند المُهدَى إليه، وبالأدلة الشرعية على حرمتها يتضح ذلك.

ب – وهناك من أباح هدية الحاكم لدفع ظلم أو تحقيق حق كما سيأتي.

ج – وهناك مَن أباح للمهدي للحصول على حقه، وحرم على الآخذ أي المُهدى إليه. والحق في ذلك أن الأحاديث الصحيحة تفيد الحرمة على الجميع المهدي والمهدى إليه للأدلة الصريحة في التحريم والتحذير.

(١)فعن أبي حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد – يقال له: ابن اللتبية – على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي إليّ – فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت إليّ! أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته؟ إن كان صادقا؟ والله، لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة فلا أعرفنّ أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه فقال اللهم هل بلّغت" متفق عليه، رواه البخاري ج ٤ ص ٢٠٢ كتاب الحيل بشرح السدي، ومسلم في باب تحريم هدايا العمال ج ١٢ ص ٢٢٠ بشرح النووي.

(٢)وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من شفع لأخيه شفاعة فأهدي له هدية فقد أتى بابا عظيما من الربا".

(٣)وعن حذيفة بن اليمان مرفوعا: هدايا العمال حرام. وعن أبي حميد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "هدايا العمال غلول".

وكان سلفنا الصالح يتورعون عن قبول الهدايا خوفا من الشبهة ولاسيما إذا تقلد أحدهم عملا من أعمال المسلمين، ولهذا فقد بوب البخاري في صحيحه بابا وقال: (باب من لم يقبل الهدية لعلة).

ثم ساق البخاري أثر عمر بن عبدالعزيز رحمه الله قوله "كانت الهدية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية واليوم رشوة".

وقال ابن حجر العسقلاني في هذا الباب قال فرات بن مسلم: اشتهى عمر بن عبدالعزيز التفاح، فلم يجد في بيته شيئا يشتري به، فركبنا معه فتلقاه غلمان الدير بأطباق تفاح، فتناول واحدة فشمها، ثم رد الأطباق، فقلت له في ذلك، فقال لا حاجة لي فيه. فقلت ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وعمر يقبلون الهدية؟

فقال – أي عمر بن عبد العزيز – : إنها لأولئك هدية وهي للعمال بعدهم رشوة.

أقوال العلماء في هدايا الحكام وغيرهم:

(١)جمهور علماء الإسلام لا يجيزون هدايا الحكام ولا العمال للأدلة المتقدمة: لما في ذلك من أكل أموال الناس بالباطل، وعدوها من السحت وإعانة على الظلم، لما يترتب على ذلك من محاباة المهدي بسبب هديته.

(٢)وهناك من جعلها في درجة الكفر، ولعل هذا القول فيه مغالاة، وسيأتي بيانه في موضعه، ولربما كان مقصدهم الكفر العملي لا الاعتقادي والله أعلم.

(٣)وهناك من أجاز هدية الحاكم من باب المكافأة والإثم على الحاكم لا على المهدي إذا كان لا يتوصل إلى حقه إلا بالهدية.

ونقل ابن حجر العسقلاني قول فرات بن مسلم في هذا الموضع في فتح الباري. قال رحمه الله: "إن لم يكن المهدى له حاكما والإعانة لدفع مظلمة أو إيصال حق فهو جائز ولكن يستحب له ترك الأجر، وإن كان حاكما فهو حرام".

وللقارئ الكريم أقوال علماء الإسلام في هذه المسألة:

(١)قال ابن قدامة في المغني قال: فأما الرشوة في الحكم ورشوة العامل فحرام بلا خلاف، قال الله تعالى: {أكالون للسحت} (المائدة: ٤٢).

قال الحسن البصري وسعيد بن جبير في تفسيره: هو الرشوة. وقال: إذا قبل القاضي الرشوة بلغت به إلى الكفر .... إلى أن قال: ولأن المرتشي إنما يرتشي ليحكم بغير الحق أو ليوقف الحكم عنه وذلك من أعظم الظلم.

ثم قال ابن قدامة: قال مسروق: سألت ابن مسعود عن السحت أهو الرشوة في الحكم؟ قال: لا ، {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} (المائدة: ٤٤).

{هم الظالمون} (٤٥)، {هم الفاسقون} (٤٧)، ولكن السحت أن يستعينك الرجل على مظلمة فيهدي لك فلا تقبل.

وقال قتادة: قال كعب: الرشوة تسفه الحليم، وتعمي عين الحكيم – إلى أن قال ابن قدامة – فأما الراشي فإن رشاه ليحكم له بباطل أو يدفع عنه حقا فهو ملعون، وإن رشاه ليدفع عنه مظلمة ويجزيه على واجبه، فقد قال عطاء وجابر بن زيد والحسن: لا بأس أن يصانع على نفسه.

قال ابن قدامة: قال جابر بن زيد: ما رأينا في زمن زياد أنفع لنا من الرشا: ولأنه يستنقذ له كما يستنقذ الرجل أسيره. فإن ارتشى الحاكم أو قبل هدية ليس له قبولها فعليه ردها إلى أربابها، لأنه أخذها بغير حق فأشبه المأخوذ بعقد فاسد. ويحتمل أن يضعها في بيت المال، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر ابن اللتبية بردها إلى أربابها. اهـ من المغني.

قال الشوكاني في نيل الأوطار: "قال ابن رسلان في شرح السنن: ويدخل في إطلاق الرشوة: الرشوة للحاكم والعامل على أخذ الصدقات وهي حرام بالإجماع. قال الإمام المهدي في البحر في كتاب الإجارات: فيه مسألة، وتحرم رشوة الحاكم إجماعا بقوله صلى الله عليه وسلم: لعن الله الراشي والمرتشي. وقال الشوكاني أيضا: قال المنصور بالله وأبو جعفر وبعض أصحاب الشافعي: وإن طلب بذلك حقا مجمعا عليه جاز. قيل وظاهر المذهب المنع لعموم الخبر.

رد وتعقيب للإمام الشوكاني:

وقال الشوكاني ردا على أئمة الزيدية: " والتخصيص لطالب الحق بجواز تسليم الرشوة منه للحاكم لا أدري بأي مخصص. فالحق التحريم مطلقا أخذا بعموم الحديث.

ومن زعم الجواز في صورة من الصور فإن جاء بدليل مقبول وإلا كان تخصيصه ردا عليه، فالأصل في مال المسلم التحريم {ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل} (البقرة: ١٨٨).

ثم قال الشوكاني: والأصل أن الدافع للرشوة إنما دفعه لأحد أمرين:

الأول: إما لينال به حكم الله إن كان محقا، وذلك لا يحل، لأن المدفوع في مقابلة أمر واجب أوجب الله عز وجل على الحاكم الصدع به. فكيف لا يفعل حتى يأخذ عليه شيئا من الحطام؟

الثاني: وإن كان الدافع للمال من صاحبه لينال به خلاف ما شرعه الله إن كان مبطلا، فذلك أقبح، لأنه مدفوع في مقابلة أمر محظور، فهو أشد تحريما من المال المدفوع للبغي في مقابلة الزنا بها، لأن الرشوة يتوصل بها إلى أكل مال الغير الموجب لإحراج صدره والإضرار به بخلاف المدفوع للبغي. فالتوسل به إلى شيء محرم وهو الزنا لكنه مستلذ للفاعل والمفعول به. وهو أيضا ذنب بين العبد وربه. وهو أسمح الغرماء ليس بين العاصي وبين المغفرة إلا التوبة ما بينه وبين الله، وبين الأمرين فرق بعيد. ثم ساق الأدلة على تحريم الرشوة.

ثم قال الشوكاني: وقال أبو وائل شقيق بن سلمة أحد التابعين: القاضي إذا أخذ الهدية فقد أكل السحت، وإذا أخذ الرشوة بلغت به الكفر. رواه ابن أبي شيبة، بإسناد صحيح وقال: ويدل على المنع من قبول هدية من استعان بها على دفع مظلمته ما أخرجه أبوداود عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم: من شفع لأخيه شفاعة فأهدي له عليها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا. وفي إسناده مقال.

ثم قال الشوكاني: فليحذر الحاكم المتحفظ لدينه المستعد للوقوف بين يدي ربه من قبول هدايا من أهدى إليه بعد توليته القضاء، فإن للإحسان تأثيرا في طبع الإنسان، والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، فربما مالت نفسه إلى المهدى إليه ميلا يؤثر الميل عن الحق عند عروض المخاصمة بين المهدي وبين غيره، والقاضي لا يشعر بذلك، ويظهر أنه لم يخرج عن الصواب، بسبب ما قد زرعه الإحسان في قلبه. والرشوة لا تفعل زيادة على هذا، إلى أن قال الشوكاني: ومن هذه الحيثية امتنعت عن قبول الهدايا بعد دخولي في القضاء ممن كان يهدي إلي قبل الدخول فيه، بل من الأقارب فضلا عن

سائر الناس، وقد ذكر المغزلي في شرح بلوغ المرام في شرح حديث الرشوة كلاما في غاية السقوط، وقال ما معناه: يجوز أن يرتشي من كان يتوصل بالرشوة إلى نيل حق أو دفع باطل، وكذلك قال: يجوز للمرتشي أن يرتشي إذا كان ذلك في حق لا يلزمه فعله – إلى أن قال: ولا يغتر بمثل هذا الأمر إلا من لا يعرف كيفية الاستدلال. اهـ كلام الشوكاني بإيجاز واختصار من كتابه نيل الأوطار.

(٣)وقال الأمير الصنعاني في كتابه سبل السلام: والرشوة حرام بالإجماع سواء كانت للقاضي أم للعامل على الصدقة أم لغيرهما، وقد قال الله تعالى: {ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون} (البقرة: ١٨٨).

ثم قال: وحاصل ما يأخذه القضاة من الأموال على أربعة أقسام:

الأول: الرشوة إن كانت ليحكم له الحاكم بغير حق فهي حرام على الآخذ والمعطي. وإن كانت ليحكم له بالحق على غريمه فهي حرام على الحاكم دون المعطي، لأنها لاستيفاء حقه فهي كجعل الآبق، وأجرة الوكالة على الخصومة، وقيل تحرم لأنها توقع الحاكم في الإثم.

الثاني: الهدية فإن كانت ممن يهاديه قبل الولاية فلا تحرم استدامتها، وإن كان لا يهدي إليه إلا بعد الولاية، فإن كانت ممن لا خصومة بينه وبين أحد عنده جازت وكرهت، وإن كانت ممن بينه وبين غريمه خصومة عنده فهي حرام على الحاكم والمهدي.

الثالث والرابع: الأجرة، وأما الأجرة فإن كان للحاكم جراية من بيت المال ورزق حرمت بالاتفاق (يعني حرمت الهدية للحاكم بالاتفاق) لأنه إنما أجري له الرزق لأجل الاشتغال بالحكم فلا وجه للأجرة.

وإن كانت لا جراية له من بيت المال جاز له الأجرة على قدر عمله غير حاكم، فإن أخذ أكثر مما يستحقه حرم عليه، لأنه إنما يعطى الأجرة لكونه عمل عملا لا لأجل كونه حاكما ولا يستحق لأجل كونه حاكما شيئا من أموال الناس اتفاقا.

فأجرة العمل أجرة مثله فأخذ الزيادة على أجرة مثله حرام.

لذا قيل إن تولية القضاء لمن كان غنيا أولى من تولية من كان فقيرا ، وذلك لأنه لفقره يصير متعرضا إلى ما لا يجوز له تناوله إذا لم يكن له رزق من بيت المال.

(٤)قال القرضاوي في كتابه: (الحلال والحرام): وقد حرم الإسلام على المسلم أن يسلك طريق الرشوة للحكام وأعوانهم، كما حرم على هؤلاء أن يقبلوها إذا بذلت لهم، كما حظر على غيرهم أن يتوسطوا بين الآخذين والدافعين – ثم ساق الأدلة على تحريم ذلك .... ثم قال: والإسلام يحرم الرشوة في أي صورة كانت وبأي اسم سميت، فتسميتها باسم الهدية لا يخرجها من دائرة الحرام إلى الحلال.

الرشوة لرفع ظلم:

ثم قال القرضاوي في كتابه المذكور: ومن كان له حق مضيع لم يجد طريقة للوصول إليه إلا بالرشوة أو دفع ظلم لم يستطع دفعه عنه إلا بالرشوة فالأفضل له أن يصبر حتى ييسر الله له أفضل السبل لرفع الظلم ونيل الحق.

فإن سلك سبيل الرشوة من أجل ذلك فالإثم على الآخذ المرتشي وليس عليه (إثم الراشي)، وهذه الحالة ما دام قد جرب كل الوسائل فلم تأت بجدوى، وما دام يرفع عن نفسه ظلما أو يأخذ حقا له دون عدوان على حقوق الآخرين.

ثم قال: وقد استدل بعض العلماء على ذلك بأحاديث الملحفين الذين كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقة فيعطيهم وهم لا يستحقون، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أحدكم ليخرج بصدقته من عندي متأبطها – أي يحملها تحت إبطه وإنما هي له نار قال عمر: يا رسول الله كيف تعطيه وقد علمت أنها له نار؟ قال فما أصنع؟ يأبون إلا مسألتي ويأبى الله عز وجل لي البخل".

وقال القرضاوي معقبا على ذلك: فإذا كان ضغط الإلحاح جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يعطي السائل ما يعلم أنه نار على آخذه فكيف يكون ضغط الحاجة على دفع ظلم أو أخذ حق مهدور؟

(٥)قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: (الفتاوى): قال رحمه الله رحمة واسعة: "ولهذا قال العلماء يجوز رشوة العامل لدفع الظلم لا لمنع الحق، وإرشاؤه حرام

فيهما، وكذلك الأسير والعبد المعتق إذا أنكر سيده عتقه له أن يفتدي نفسه بمال يبذله يجوز له بذله وإن لم يجز للمستولي عليه بغير حق أخذه.

وكذلك المرأة المطلقة ثلاثا إذا جحد الزوج طلاقها فافتدت منه بطريق الخلع في الظاهر كان حراما عليه ما بذلته ويخلصها من رق استيلائه". مستدلا بحديث عمر بن الخطاب المتقدم – قال ابن تيمية: ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتلظاها نارا قالوا: يا رسول الله فلم تعطيهم؟ قال يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل"، ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن ذلك ما وقى به المرء عرضه فهو صدقة، فلو أعطى الرجل شاعرا أو غير شاعر لئلا يكذب عليه أو يهجوه أو يتكلم في عرضه كان بذله لذلك جائزا".

وجاء في الفتاوى لشيخ الإسلام: وسئل شيخ الإسلام عن رجل أهدى الأمير هدية يطلب حاجة أو التقرب أو للاشتغال بالخدمة عنده أو ما أشبه ذلك فهل تجوز هذه الهدية على هذه الصورة أم لا؟ فأجاب رحمه الله: "الحمد لله ففي سنن أبي داود وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من شفع لأخيه شفاعة فأهدي له هدية فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا".

وقال: وسئل ابن مسعود عن السحت فقال: "هو أن تشفع لأخيك شفاعة فيهدي لك هدية فتقبلها، فقال له: أرأيت إن كانت هدية في باطل؟ فقال: ذلك كفر، {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} (المائدة: ٤٤)، ولهذا قال العلماء: إن من أهدى هدية لولي أمر ليفعل معه ما لا يجوز كان حراما على المهدي والمهدى إليه – وهذه من الرشوة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: "لعن الله الراشي والمرتشي".

والرشوة تسمى البرطيل، والبرطيل في اللغة هو الحجر المستطيل فاه. فأما إذا أهدى له هدية ليكف ظلمه عنه أو ليعطيه حقه الواجب كانت هذه الهدية حراما على الآخذ، وجاز للدافع أن يدفعها إليه – ثم ساق شيخ الإسلام ابن تيمية حديث عمر بن الخطاب المتقدم ..... وقد أسهب ابن تيمية في هذه المسألة فمن أراد المزيد من الاطلاع فليراجع الفتاوى من ص ٢٨٥ إلى ص ٢٨٨ من المجلد الحادي والثلاثين.

❖❖❖

التوجيه الإسلامي

مزمار الشيطان وأثره على الفرد والمجتمع

الشيخ محمد بن عبد الله الهبدان

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل: {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء} (الأنعام: ١٢٥) والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وهاديا للحائرين، وعلى من سار على نهجه إلى يوم الدين، أمابعد:

فإن القلوب إذا ضعف إيمانها .. وقل إخباتها .. وأقدمت على ممارسة المعصية عدة مرات، آنسته واطمأنت إليه، وأصبح أمرا مألوفا، لا تشعر منه بحرج ولا إثم ... وهو مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون} (المطففين:١٤) [1].

وتصور فداحة المصيبة ... عندما يعلو ذلك الران القلوب، فتصبح عندها لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا، حتى لو عرفت قبح ذلك الفعل وتحريمه، وهي – ورب الكعبة – عقوبة بالغة لأصحاب الذنوب والمعاصي، تجرؤهم على حدود الله تعالى، وانتهاكهم لحرماته: {فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم} (الصف: ٥).

ووالله لأن يصاب الإنسان في نفسه وماله وولده أهون عليه من أن يعلو الران على قلبه، لأن المعاصي تؤزه إلى النار أزا، وتدفعه إليها دفعا ...وأوضح مثال على ذلك ... ما صيد به قلوب الجاهلين والمبطلين ... وشحذ شهواتها ... وتعلقت به النفوس .. أشد من تعلقها بالطعام والشراب ... بل وأحب قوم فيه وابغضوا ... مع أنه سبب من أسباب

---

[1] رواه الترمذي (٣٣٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

العقوبات الإلهية .. فطالما ضرر بالأمم والشعوب، وسلبها حضارتها .. وما ظهر في قوم .. وفشا فيهم .. واشتغلوا به .. إلا سلط الله عليهم العدو .. وبلوا بالقحط والجدب .. وولاة السوء .. إنه سماع الغناء مصحوبا بأنغام الموسيقي الغربية أو الشرقية ونحوها.

حال الناس في الغناء:

لقد تتابعت النصوص الشرعية على تحريم الغناء ... ومنافاته لروح الإسلام الجادة الطاهرة الرفيعة .. ومع ذلك فقد ألفته القلوب وتعلقت به .. أشد من تعلقها بالقرآن والسنة .. بل وصل الأمر عند بعضهم – والعياذ بالله – أن يكون أحب إليه من القرآن والسنة .. والاستماع إليهما، وإلا كيف تفسر تصرف بعضهم عندما يبعد مؤشر المذياع .. حين يسمع القرآن .. حتى إذا سمع مغنية فاجرة تتشدق بمعسول الكلام بتكسر وتأوه .. انتعش فؤاده .. ورقص طربا .. وأشرق وجهه .. وتراقصت أعضاؤه .. وتأمل حال الذين ابتلوا بفتنة سماع الغناء .. كيف يسهرون الليالي الطوال .. ودموعهم تسيل على خدودهم .. يتجاوبون مع التأوهات والتكسرات .. التي تصدرها مطربة فاسقة .. خلعت رداء الحياء والخوف من الجبار جل جلاله .. ثم تفكر بعد ذلك .. كيف يتسنى لأمة .. هذا حال أكثر أفرادها .. أن تبني مجدا .. أو تستعيد عزا .. أوحتى تدفع عن نفسها عدوا أو طامعا.

آثار سماع الغناء على الفرد والمجتمع:

للغناء آثاره الخطيرة على مستوى الفرد والجماعة فمن ذلك:

١ – أنه سبب للعقوبات الإلهية:

عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف" فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذاك؟ قال: "إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور" [١].

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رءوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير" [٢].

---

[١] رواه الترمذي وصححه الألباني.

[٢] رواه ابن ماجه وصححه ابن حبان وابن القيم والألباني.

فتصور نفسك يا أخي وأنت بين زملائك قد ضربت العود والمرواس وقد خسف الله بكم الأرض أو مسخكم قردة وخنازير فما موقفك؟ وما مصيرك؟ وكيف يكون جوابك أمام الجبار جل جلاله وأنت على هذه الحال – عياذا بالله من ذلك.

٢ – أن فيه تخدير لمشاعر الأمة:

كما أن في الغناء تخديرا لمشاعر الجهاد والتضحية والفداء .. فهل كلمات المغنين والمغنيات تشعل في قلوب الأمة حب الجهاد والتضحية في سبيل الله تعالى؟!! وهل تثير في النفوس نفض الغبار عن الأمة والتي سامها عدوها سوم العذاب والذل والهوان؟!!

أم أن كلمتهم وقصائدهم تدور كلها حول الحب والغرام، والعشق والهيام .. عندها تصبح هموم الأمة تدور حول الشهوة واللذة، وتنسى معالي الأمور وتنسى أنها أمة لها شرفها المجيد، وتاريخها الفريد الذي نفاخر بها الدنيا كلها، فتنام ملء جفونها، وتغط في سباتها.

٣ – أنه يسبب الرعونة وقلة الحياء:

ويكفيك أن تنظر إلى تصرفات السامعين .. وحركاتهم المنافية للوقار .. وكم هم الشباب الذين رأيناهم يترنحون في سيارتهم أمام مرأى ومسمع من الناس!! وقد رأيت شابا يتراقص أمام زملائه على أنغام الموسيقي الغربية!! أين الحياء!! أين الوقار!! بل أعظم من ذلك – إي وربي – رأيته يرقص أمام جموع من الناس وفي مكان عام على أصوات الموسيقي الغربية!! بلا حياء من الله تعالى ولا استحياء من خلقه!!

٤ – أنه وسيلة إلى فعل الزنى والفاحشة:

يقول الفضيل بن عياض: الغناء رقية الزنا. فكلامهم يدور حول الشهوة واللذة، والحب والغرام .. فإذا ثارت الشهوات، وتحركت الغرائز، فكيف يطفئها!!

ومن هنا .. تعرف يا أخي .. لماذا يركز اليهود في مخططاتهم الإجرامية لنشر الغناء والموسيقي .. وتشجيع محترفيها .. والدعاية لهم .. وقد ذكروا في بروتوكولاتهم .. أنهم سينشرون الفن والرياضة .. ويخدرون بهما الشعوب .. حتى يخلو لهم الجو .. فيحكموا العالم ويتحكموا به.

٥ – أنه يسبب نفرة القلب من سماع القرآن وفهمه وتدبره:

إذا أردت أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله فانظر محبة القرآن في قلبك والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء بسماعهم، فإنه من المعلوم .. أن من أحب حبيبا كان كلامه وحديثه أحب شيئا إليه كما قيل:

إن كنت تزعم حبي   فلم هجرت كتابي
أما تأملت ما فيه   من لذيذ خطابي

أما علمت أن حب القرآن وحب الغناء في قلب مؤمن لا يجتمعان!! فلماذا تختار مزمار الشيطان وتقدمه على كتاب الرحمن؟ أتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!

حب الكتاب وحب ألحان الغناء   في قلب عبد ليس يجتمعان
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا   تقييده بشرائع الإيمان
واللهو خف عليهم لما رأوا   ما فيه من طرب ومن ألحان
يا لذة الفساق لست كلذة   الأبرار في عقل ولا قرآن

ولماذا نراك عند سماع الغناء وقد خشعت منك الأصوات، وهدأت منك الحركات، وتفجرت ينابيع الوجد من قلبك على عينيك فجرت، وعلى أقدامك فرقصت، وعلى يديك فصفقت، وعلى سائر أعضائك فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسك فتصاعدت، وعلى نيران أشواقك فاشتعلت، ولو سمعت القرآن من أوله إلى آخره لما حرك لك ساكنا، ولا أثار في قلبك وجدا ..

وكما قيل: تقرأ عليك الختمة وأنت جامد كالحجر، وبيت من الشعر ينشد فتميل كالنشوان!! [١]

٦ – أنه ينبت النفاق في القلب:

كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع. [٢] وأينا يجهل فداحة النفاق وخطره!! وأينا يغفل عن عقوبة المنافقين وما أعد الله

[١] انظر: الجواب الكافي لابن القيم رحمه الله.

[٢] صححه ابن القيم في الإغاثة: ١ / ٢٤٨، ووضح معناه.

تعالى لهم من مثل قول الله تعالى: {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا} (النساء: ١٤٥) فكيف تسير في طريق يؤدي بك إلى الهاوية؟! وتنقاد خلفه وأنت وأنت تعلم مصيره وخطره؟!

٧ – أنه سبب من أسباب سوء الخاتمة:

نعم سوء الخاتمة .. فإن من أسبابها الإصرار على الذنوب فلربما غلب عليك حب الغناء عند سكرات الموت فيظفر بك الشيطان عند تلك الصدمة .. ويتخطفك عند تلك الدهشة .. عياذا بالله من ذلك .. وإذا كان الشيطان قد استطاع عليك وأنت في حال قوتك ونشاطك .. فكيف في حال ارتخاء اليدين وامتداد الساقين وثقل اللسان، فالأمر أشد وأخطر، فاتق الله يا عبد الله، فالأمر جد خطير .. والموقف مهول .. نسأل الله السلامة والعافية.

قال الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي رحمه الله: واعلم أن لسوء الخاتمة – أعاذنا الله منها – أسبابا ولها طرقا وأبوابا:

أعظمها الانكباب على الدنيا، والإعراض عن الآخرة، والإقدام والجرأة على معاصي الله عز وجل، وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة، ونوع من المعصية، وجانب من الإعراض، ونصيب من الجرأة والإقدام، فملك قلبه، وسبى عقله، وأطفأ نوره، وأرسل عليه حجبه، فلم تنفع فيه تذكرة، ولا نجعت فيه موعظة، فربما جاءه الموت على ذلك، فسمع النداء من مكان بعيد، فلم يتبين له المراد، ولا علم ما أراد، وإن كرر عليه الداعي وأعاد.

قال عبد الحق: ... قيل لآخر: قل: لا إله إلا الله فجعل يقول:

يا رب قائلة يوما وقد تعبت كيف الطريق إلى حمام منجاب

ولم يزل على ذلك، حتى كان هذا البيت آخر كلامه من الدنيا! فعياذا بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة.

حكم سماع الغناء:

ولهذه الأسباب كلها ولغيرها .. فقد حرم الإسلام هذا اللون من اللهو .. في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. وفي قول عامة العلماء .. فإلى الذين يرددون في

كل مناسبة كلمة التوحيد .. وهم يعلمون أنهم يعلنون بهذا .. ولاءهم الكامل لله ورسوله .. ويسلمون له قيادهم .. إلى المؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ... وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا .. وعلى ربهم يتوكلون .. إلى هؤلاء نسوق حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في هذا المنكر .. الذي أصبح اليوم معروفا:

١ – يقول الله تعالى: {ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين، وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم} (لقمان: ٦، ٧).

قال الواحدي وغيره: أكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث الغناء، قاله ابن عباس وعبد الله بن مسعود. قال أبوالصهباء سألت ابن مسعود عن قوله تعالى: {ومن الناس من يشتري لهو الحديث} فقال: والله الذي لا إله غيره هو الغناء، يرددها ثلاث مرات.

٢ – يقول الله تعالى: {ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن} (النور:٣١).

إن الله جل جلاله نهى المرأة أن تحرك رجلها حتى لا يسمع صوت خلخالها .. فكيف بمن تتكسر في صوتها .. متميعة في كلامها .. تتأوه وتتغنج ... فتثير كامن الشهوات السافلة الدنيئة؟!!

٣ – روى الإمام البخاري في صحيحه معلقا بصيغة الجزم عن أبي مالك الأشعري قوله صلى الله عليه وسلم: "ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف" [١].

ولو لم يكن في تحريم هذا المنكر إلا هذا الحديث لكفى ... لقوته وصحته.

[١] وقد حاول قوم أن يطعنوا بهذا الحديث .. فقالوا: إنه معلق لا يحتج به .. ولكن البخاري رحمه الله رواه بصيغة الجزم .. وهو في اصطلاحه صحيح ثابت ... وقد روي متصلا صحيحا في كتب أخرى من كتب السنة ... فرواه أبوداود وابن ماجه والترمذي وأحمد وغيرهم.

٤ – وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمة، لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة، لطم وجوه وشق جيوب" رواه الترمذي وحسنه الألباني.

٥ – وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر" رواه أحمد [١].

والكوبة هي الطبل قاله سفيان أحد رواة الحديث.

قد روي في ذم الغناء والملاهي أحاديث وآثار كثيرة لا تحتمل هذه المقالة ذكرها، وفيما ذكرنا كفاية ومقنع لطالب الحق .. فهل يؤخذ بعد ذلك قول أحد من الناس؟!! إلا أن يكون الدافع إلى ذلك الهوى والشهوة .. وإنا نعوذ بالله من زيغ الهوى .. وتحكم الشهوة .. وما أعظم على الناس فتنته! وما أشد على الدين محنته! وهل أبقت الشريعة لقائل مقالا أو لمتصرف بعدها مجالا، ما على الشريعة أضر من هؤلاء يفسدون عقول الأمة بتوهمات وشبهات تشبه المعقول.

كلام السلف في بيان حرمة الغناء:

لقد أدرك علماء السلف رضي الله عنهم من هذه النصوص وغيرها .. تحريم الغناء وخطره على الأمم والشعوب .. فاتفق الأئمة الأربعة رضي الله عنهم على حرمته وقد حكى أبو عمرو ابن الصلاح الإجماع على تحريم السماع الذي جمع الدف والشبابة والغناء فقال في فتاويه: أما إباحة هذا السماع وتحليله فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحد ممن يعتد بقوله في الإجماع والاختلاف أنه أباح هذا السماع.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإنهم متفقون – أي الائمة الأربعة – على تحريم المعازف التي هي آلات اللهو كالعود ونحوه ..) [٢].

---

[١] قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في مجموع فتاواه (٣ / ٤٣٠): (إسناده جيد).

[٢] منهاج السنة (٤ / ٤٣٩).

وقد نص الإمام أحمد على كسر آلات اللهو كالعود والطنبور وغيرها .. إذا رآها مكشوفة وأمكنه كسرها .. هذا قولهم في غناء معظمه زهد وحرب ... فكيف بهذا النوع السائد اليوم ... الذي يحرض على الفاحشة .. ويشحذ الشهوات .. ويفجر الغرائز الحيوانية.

قال الإمام القاسم بن محمد: الغناء باطل والباطل في النار.

ويقول الفضيل بن عياض: الغناء رقية الزنا.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده: ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن صوت المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء.

وقد قال يزيد بن الوليد: (يا بني أمية .. إياكم والغناء .. فإنه يذهب الحياء .. ويزيد الشهوة .. ويهدم المروءة .. وإنه لينوب عن الخمر .. ويفعل ما يفعل السكر .. فإن كنتم لابد فاعلين .. فجنبوه النساء .. فإن الغناء داعية الزنا) [1].

وذلك لأن غناء الرجل .. ذو أثر كبير على عواطف المرأة ومشاعرها، وقال الشافعي رحمه الله: صاحب الجارية، إذا جمع الناس لسماعها، فهو سفيه ترد شهادته، وأغلظ القول فيه، وقال: هو دياثة .. فمن فعل ذلك كان ديوثا.

قال القاضي أبو الطيب: وإنما جعل صاحبها سفيها، لأنه دعا الناس إلى الباطل، ومن دعا الناس إلى الباطل، كان سفيها فاسقا، وقد سمع سليمان بن عبد الملك صوت غناء .. فأحضر المغنيين وقال: إن الفرس ليصهل فتستودق له الرمكة، وإن الفحل ليهدر فتضبع له الناقة، وإن التيس لينب فتستحرم له العنز، وإن الرجل ليتغنى فتشتاق له المرأة .. ثم أمر بخصائهم.

فأي رجل بعد هذا ... يملك في نفسه شيئا من الغيرة والرجولة على محارمه ونسائه .. يسمح لنسائه وبناته يصغين إلى غزل الفجار .. من المطربين السافلين .. ولا

---

[1] سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٧٦).

تسأل بعد ذلك عن عشق البنات للمطربين .. وتفاخرهن بذلك .. في المدارس والبيوت .. واحتفاظهن بصورهم .. ولعمر الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا؟! وكم من حر أصبح به عبدا للصبيان والصبايا؟! وكم من غيور تبدل به اسما قبيحا بين البرايا؟!

وبعد .. أما آن لقلبك أن يخشع .. أما آن لك أن تقلع ؟! أما آن لك أن تعود إلى رشدك؟! وتتوب إلى ربك؟! فتعاهده منذ اللحظة أن تعود إليه .. وأن تقوم من مقامك هذا لتحطم من يقضي على دينك .. وعلى غيرتك وشهامتك!! وإني لأربأ بك أن تكون من الذين يحيون لشهواتهم، ويعيشون لملذاتهم .. وينسون جنات عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين .. جنات فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له   فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

رسائل سريعة:

الرسالة الأولى: إلى الذين أنعم الله عليهم .. وأسبغ عليهم .. إلى الذين يتجرون بتلك الأشرطة التي قد امتلئت بالفحش والخنا .. إلى الذين يؤجرون محلاتهم لمثل هؤلاء .. إلى الذين يبيعون أدوات الغناء. أما إنكم قد ساعدتم عدوكم في إفساد أبناء أمتكم .. شبابا وشيبا .. ذكورا وإناثا .. في نشر الرذيلة بينهم ..

فكم من أعراض قد انتهكت بسبب الغناء ؟!!

وكم من شباب ضاعوا بسبب الغنا؟!

وكم من أموال الأمة قد أهدرت ؟!!

كم من فضيلة قد تلاشت؟

وكم من خصال رفيعة قد ضيعت؟!!

وكم من سجايا حميدة قد أهملت؟!

كم من شباب رأيناهم قد أحيوا ليلهم في الاستراحات والمقاهي بسماع الأغاني الصاخبة؟!!

وكم من شاب طاش عقله بكلمة مغن أو مغنية فراح يتراقص بسيارته بسرعته الجنونية حتى لقي حتفه؟!

هؤلاء كلهم تعود أوزارهم إليك .. نعم إليك .. فأنت الذي نشرت بينهم هـذه الشرور .. قال صلى الله عليه وسلم: "من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا ، ومن سن سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا" رواه مسلم .. فلماذا تحمل نفسك ما لا تطيق؟! يقول الله جل جلاله: {ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون} (النحل: ٢٥).

وهل أغلقت أبواب الرزق في وجهك .. حتى إنك لم تجد بابا سوى هذا الباب؟ وحتى لو جرى ذلك لما جاز لك أن تفعله!! قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه" [1].

وقد أفتى العلماء الأجلاء بتحريم بيع هذه الأشرطة وتأجير المحلات لمن يبيعها قال تعالى: {وتعانوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب} (المائدة: ٢)

أخي التاجر الكريم! ألم تعلم أن كسبك من وراء هذه الأشرطة أو هذا التأجير مال سحت .. استمع يا رعاك الله إلى ما ورد عن كعب بن عجرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت، النار أولى به" رواه ابن حبان وصححه ، فهل تطيق نار جهنم التي أوقد عليها ثلاثة آلاف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة؟!!

وإذا كانت نار الدنيا تفعل بأهلها ما تراه أحيانا أو جربته في أحايين أخرى .. فكيف بنار جهنم؟!!

ثم ألم تعلم يا رعاك الله أن الذي يأكل الحرام لا تستجاب له دعوة؟ فهل أنت مستغن عن ربك عز وجل ودعائه؟! عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: {يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون

---

[1] رواه أبوداود وصححه ابن القيم.

عليم}[١] وقال: {يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم} [٢] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك" [٣].

فاتق الله يا عبد الله فإن من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب .. ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه.

كما أنه يمكنك أن تجعل محلك مشعل هداية للأمة ببيع الاشرطة الإسلامية التي تجمع بين خيري الدنيا والآخرة، فيا لله! كم من الحسنات والأجور العظيمة ستكتب لك!!

فلا تتردد ولا تسوف، ولا يخدعنك الشيطان فإنه عدو مضل مبين.

أسأل الله تعالى أن يصرف عنك نزغات الشيطان وأن يجعلك من حزب الرحمن.

الرسالة الثانية والأخيرة .. لدعاة الإسلام .. وهداة الأنام .. إنكم مطالبون بأداء الأمانة، ونصح الأمة، وبذل الجهد، وإفراغ الوسع في مناصحة من ابتلي بسماع الأغاني أو بيعها والذهاب إليهم .. وزيارتهم في أماكنهم .. وحثهم على ترك هذا المنكر العظيم .. الذي يخشى أن تعاقب الأمة كلها بسببه بخسف أو مسخ – عياذا بالله من ذلك – وتصور عظيم الأجر ... حينما يقلع تاجر عن بيع مثل هذه الأشرطة .. فكم من الأجر العظيم نلته؟ والشر العميم الذي أزلته؟ فلا تحرم نفسك الخير .. وكن مفتاحا للخير .. ومغلقا للشر، يقول الله تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون} (آل عمران: ١١٠).

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وجعل عملنا خالصا مقبولا، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❖❖❖

---

[١] المؤمنون، الآية: ٥١.

[٢] البقرة، الآية: ١٧٢.

[٣] رواه مسلم.

المحدث الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

مؤلف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

حياته وأعماله

(١٤) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

الإفتاء:

من الأعمال الكبيرة التي أنجزها الشيخ رحمه الله في حياته تلك الأعداد الكبيرة من فتاواه التي أفتى بها منذ دخوله في ميدان العمل العلمي والدعوي إلى ما سمحت له صحته وقواه الجسمية والذهنية، وكانت الأسئلة ترد إليه عبر البريد من داخل البلاد وخارجها، إلى جانب سؤال الناس له شفهيا في بيته ومسجده، وفي سفره وحضره.

ويمكن تقسيم فتاواه إلى ثلاثة أقسام: قسم احتفظت به الجرائد والمجلات، وقسم تحويه مجموعات رسائله التي تم نشر ثلاثة منها، وقسم يحتفظ به أبناؤه وأحفاده من صور الفتاوى الصادرة بقلمه، حيث كان رحمه الله يحاول أن يحتفظ بنسخة من أجوبته قبل إرسالها إلى السائلين، ومعلوم أن الوسيلة الوحيدة للنسخ كانت الإعداد بالقلم والكتابة، حيث إن أجهزة التصوير لم تكن توجد آنذاك. وقد تحول الأعمال العلمية المتراكمة دون نسخ هذه الفتاوى، فيضطر إلى إرسالها من غير إعداد صورة منها، وقد ساعده أبناؤه وأحفاده فيما بعد فترة مدرسة دار الحديث الرحمانية على هذا النسخ والتصوير.

وقد سبق أن ذكرت أن الأخ فواز بن عبد العزيز، حفيد الشيخ المباركفوري قام بجمع مجموعة من فتاواه ومقالاته، ورتبها على الأبواب الفقهية، وقام بعزو النصوص الحديثية إلى مصادرها، وجاءت هذه المجموعة في مجلدين، يبلغ صفحاتهما إلى أكثر

من (١٠٠٠) صفحة، وقامت جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند بنشر هذه المجموعة القيمة عام ١٤٣١ هـ = ٢٠١٠م. ولا نزال نسمع أن الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ المحدث المباركفوري يحتفظ بمجموعة كبيرة من فتاوى والده، لو رتبت ونشرت جاءت في عدة مجلدات.

والناظر في مجموعة الفتاوى المنشورة من قبل الجمعية الموقرة يدرك مدى الجهد المضني الذي بذله جامعه في إخراج هذا السفر القيم. فقد قام بجمعه من أماكن متفرقة، منها الجرائد والمجلات، ومنها مجموعات الرسائل التي وجهها الشيخ إلى أهل العلم، بعضها مطبوعة وبعضها مخطوطة، فمن المجلات والجرائد: مجلة محدث، التي كانت تصدر من دار الحديث الرحمانية بدهلي، ومجلة مصباح، التي كانت تصدر من مدرسة دار العلوم، ششهنيان، بستي، ومجلة الهدى، الصادرة من مدرسة دار العلوم الأحمدية السلفية دربنجه، وجريدة ترجمان، الصادرة من جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند، وأخبار أهل حديث الصادرة في دهلي، ومجلة محدث، الصادرة من الجامعة السلفية بنارس، ومجلة نور توحيد، الصادرة من مركز التوحيد في نيبال، ومجلة السراج الصادرة من جامعة سراج العلوم السلفية في نيبال، ومجلة الفلاح – العدد الخاص بالشيخ، الصادرة من شنكر نغر، بلرام فور، ومجلة أفكار عالية، الصادرة من الجامعة العالية العربية بمئو. وأما مجموعات الرسائل فمنها "نقوش رحماني" وهي عبارة عن مجموعة الرسائل التي وجهها الشيخ المباركفوري إلى والدي المكرم الشيخ محمد الأعظمي، و "مكاتيب رحماني"، مجموعة رسائل الشيخ إلى تلميذه الشيخ محمد أمين الأثري، و "مكاتيب حضرة شيخ الحديث" مجموعة رسائل الشيخ إلى الشيخ عبد السلام الرحماني. وثلاثتها مطبوعة، و "مكاتيب شيخ الحديث" رسائل الشيخ إلى الأستاذ محمد فاروق الأعظمي، لم تنشر بعد.

وقد ضمن المرتب هذه المجموعة عددا من فتاوى علماء آخرين، مما لم تكن نشرت من قبل، صيانة لها عن الضياع من ناحية، وليتم النفع بها من ناحية أخرى. فجزاه الله خيرا.

لما خصصت مجلة محدث الصادرة من دار الحديث الرحمانية بدهلي صفحات في المجلة لفتاوى الشيخ وأجوبته ازداد إقبال الناس على المجلة، وأصبحوا ينتظرون عددها الجديد بشدة، فقد ذكر الشيخ محمد إدريس آزاد الرحماني أن الشيخ أبا يحيى إمام خان النوشهروي – مؤلف تراجم علماء حديث هند – كان يقول: "لا أتذوق لذة النوم حتى أنتهي من مطالعة أسئلة مجلة محدث وأجوبة الشيخ عليها". [1]

كان – رحمه الله – موضع ثقة عند عامة الناس وخاصتهم، وعوامهم وعلمائهم، فكان كل هؤلاء يشعرون براحة وطمانينة على ما يصدر منه من فتاوى وأقضية، أما العامة فبثقتهم بشخصيته وزهده وورعه، وأما العلماء والخواص فإضافة على ذلك كانوا يجدون في فتاواه وأجوبته قوة الاستدلال، والتجرد عن التعصب المذهبي، والمناقشة الجادة للأدلة، والترجيح على أسس سليمة وقواعد ثابتة. وإلى يومنا هذا تقوم بعض الجرائد والمجلات بانتخاب من فتاواه وتنشرها في صفحاتها بين حين وآخر، نظرا لأهميتها واطمئنان الناس إليها.

وإذا ذهبنا ندرس بعض فتاواه لمعرفة الخصائص والميزات التي تمتاز بها فبإمكاننا الوصول إلى النتائج التالية:

١ – تمتاز هذه الفتاوى بكل ما سبق أن ذكرناه من ميزات تأليفه: "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" وهي متعددة ومتنوعة.

٢ – وتمتاز أيضا بلغاته التي أجيب فيها، فهي حسب الاستعداد اللغوي للسائلين جاءت في ثلاث لغات: الأردية، وهي الغالبة، والعربية والفارسية. وكان الشيخ يمتلك ناصية هذه اللغات الثلاث، ويجيد الكتابة فيها. ومعظم الإجابات بالأردية، لأنها هي اللغة السائدة في مسلمي هذه البلاد في العامة والخاصة، وهي المستعملة في المدارس والجامعات وفصولها الدراسية، وفي مجلاتها وجرائدها، وفي مكاتباتها ومراسلاتها. أما اللغة العربية فينحصر استخدامها في بعض المثقفين من العلماء وخريجي المدارس الإسلامية وبعض الكليات والجامعات الحكومية. أما اللغة الفارسية فكانت لغة

---

[1] انظر: مقدمة الشيخ محمد ادريس على كتاب "أهل حديث اور سياست" للشيخ نذير أحمد الأملوي، ص: ١٦ – ١٧.

رسمية أو شبه رسمية في العصور التي حكم فيها المسلمون في هذه البلاد. وبزوال حكوماتهم آل أمر هذه اللغة إلى الزوال والاندثار، فانزوت في العلماء والمثقفين وفي الكتب والمراسلات. أما الآن فيندر وجود العارفين بها والمتقنين لها.

فالشيخ كان يراعي في الرد على الأسئلة حال المستفسر ويرد عليه في اللغة التي يجيد فهمها، وقد وجد أن بعض السائلين من أهل العلم كانوا يقدمون أسئلتهم باللغة العربية، فيجيب عليها في اللغة نفسها، وأحيانا كان يرد باللغة العربية وإن كان السائل قدم أسئلته بالأردية، لثقته بإجادة السائل هذه اللغة ولتشجيعه على استخدام هذه اللغة. وقد قام الشيخ محمد أسلم المباركفوري، المدرس بالجامعة السلفية بنارس، بجمع إجاباته التي هي باللغة العربية، والتعليق عليها بتوثيق الإحالات وإضافة بعض المعلومات المفيدة عليها. كما قام بتعريب مجموعة من فتاواه مع التعليقات والإضافات، فجزاه الله خيرا.

٣ – وهذه الإجابات بين الإيجاز والإطناب، فنرى أن بعضها في أسطر، وبعضها في صفحات. ويرجع الأمر في ذلك إلى نوعية السؤال، والمبلغ العلمي والثقافي للسائل، فالإجابات المطولة نجد أنها في الغالب موجهة إلى أهل العلم والمعرفة. ونجد في هذه الفتاوى إحالات كثيرة إلى المراجع للاستزادة. وأحيانا يحيل إلى كتابه "المرعاة" حيث إنه أشبع فيه الكلام على المسألة المستفسرة. ولكن لا يكون كل ذلك إلا بعد الرد على أصل المسألة، وإنما تكون هذه الإحالات للاستزادة فقط، وللراغبين في الاطلاع على التفاصيل.

٤ – عدد كبير من هذه الإجابات يتعلق بالمسائل العلمية، مثل التفسير والحديث والفقه والأصول الخ. والعلماء كانوا يرجعون إليه لحل إشكالاتهم في مسائل العلم والدعوة، وتشمل هذه الأسئلة العلوم اللغوية والنحوية والأدبية أيضا. والشيخ يرد على الجميع، ويرشدهم إلى المراجع والكتب.

٥ – يلتزم الشيخ بجانب الحذر والاحتياط في فتاواه بعد بذل كل جهده في البحث والتحقيق، شان العلماء الربانيين، فيستعمل في إجاباته تعبيرات مثل: "في علمي القاصر" و "فوق كل ذي علم عليم" وما إلى ذلك. وقد يختم إجابته بعبارة: "هذا ما

عندي. فإن كان صوابا فمن الله. وإن كان خطأ فمن نفسي ومن الشيطان. أعاذني الله من همزه ونفخه ونفثه". [١]

يجدر بالذكر أن أهل العلم استأذنوا الشيخ رحمه الله في حياته لجمع فتاواه ونشرها، فرفض هذا الاقتراح بشدة، ولم يسمح لأحد أن يقوم بهذا العمل، وفي إحدى رسائله الموجهة إلى الشيخ عبد السلام الرحماني يقول:

"ليس أمامي أي تخطيط أو إرادة لنشر فتاواي في حياتي، وكل فتوى من فتاوى علماء أهل الحديث يكون مبنيا على رؤيته وترجيحه وتحقيقه، فليس هناك بد من وقوع الاختلاف بين فتاوى علماء أهل الحديث. واختلاف علماء جماعة واحدة في مسئلة واحدة يوقع الناس في الاضطراب. ومن هنا نهيت عن نشر أي فتوى لي في مجلة صوت الجامعة [٢] وجريدة ترجمان ومجلة أهل الحديث بدون إذن مني". [٣]

ويعلق الشيخ عبد السلام الرحماني على العبارة المذكورة بقوله:

"كان من أمنياتنا القلبية أن لو تكرم الشيخ بمراجعة فتاواه حتى تنشر في حياته، ولكنه رحمه الله لم يرض بذلك". [٤]

٦ – ذكر المترجمون له أنه إلى جانب أهل الحديث كان الديوبنديون والبريلويون أيضا يرجعون إليه ويستفتونه في بعض المسائل والأمور. وهذا يدل على احترامهم له وثقتهم به. ومثل هذا الأمر يندر وقوعه في مجتمع ذي انتماءات طائفية.

وملخص القول أن فتاوى الشيخ وإجاباته تتصف بميزات وخصائص توحي إلى براعة صاحبها ونبوغه العلمي واطلاعه الواسع وشدة تمسكه بالمصدرين: كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهي تشتمل على كنوز وذخائر، ودرر ولآلي، وتستحق الدراسة من قبل الباحثين وطلبة الجامعات.

(يتبع)

❖❖❖

---

[١] انظر: نقوش رحماني، ص: ١٧.

[٢] وهي مجلة أردية كانت تصدر من الجامعة السلفية آنذاك، وهي تصدر الآن باسم مجلة "محدث".

[٣] مكاتيب حضرة شيخ الحديث، ص: ١٤٢.

[٤] المرجع السابق.

علوم القرآن

حكم تعلم وتعليم أحكام علم التجويد [١]، وصلته بمفهوم اللحن

د. محمد خالد منصور

حكم تعلم وتعليم أحكام التجويد

البحث في حكم تعلم وتعليم علم التجويد، يقتضي أن يكون في نقطتين:

النقطة الأولى: حكم تعلم وتعليم القواعد العلمية لعلم التجويد:

أما حكم تعلم أحكام وقواعد هذا العلم النظرية، والتمرس بها، والأخذ بدقائقها، فهو فرض على الكفاية [٢]، إذا قام به طائفة من الأمة، سقط الإثم عن الباقين، إبقاء لهذا العلم، وإحياء لمباحثه.

النقطة الثانية: حكم العمل بقواعد هذا العلم الجليل:

أما حكم العمل بأحكام التجويد عند تلاوة القرآن الكريم، فهو فرض عين على كل قارئ للقرآن مسلما كان، أو مسلمة [٣] بحسب طاقته، ووسعه، ومكنته، وطلاقة لسانه التي وهبه إياها أكرم الأكرمين، وإن كان المحفوظ سورة واحدة أو آية واحدة[٤].

وقد نص على فرضية العمل بأحكام علم التجويد جماعة من العلماء: ومنهم الإمام الحافظ ابن الجزري، وأبو عبد الله نصر بن الشيرازي، والسيوطي، والقسطلاني، ومكي بن أبي طالب، وغيرهم [٥]، ودليل هذا القول ما يأتي:

١ – قوله تعالى: {ورتل القرآن ترتيلا} (المزمل: ٤).

---

[١] وانظر هذا الحكم: ابن الجزري، المقدمة الجزرية، ص: ٤، ومحمد مكي نصر، نهاية القول المفيد، ص: ١٥، وما بعدها.

[٢] محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد، ص: ٧.

[٣] محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد، ص: ٧.

[٤] ابن يالوشة التونسي، الفوائد المفهمة، ص: ١٩، وانظر: عبد الرزاق موسى، الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية، ص: ٤٤.

[٥] محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، ص: ١٠.

وجه الدلالة في الآية الكريمة: أن قوله تعالى: {ورتل ...} فعل أمر، والأمر يقتضي الوجوب، ولا صارف يصرفه من الوجوب إلى الندب، فثبت أن ترتيل كتاب الله عز وجل واجب.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "التجويد، تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف" [١].

٢ – قوله تعالى: {الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته} (البقرة: ١٢١).

وجه الدلالة في الآية الكريمة: يصف الله تعالى الذين آتاهم الكتاب بصفة مدح، وهي أنهم يتلونه حق تلاوته: وحق التلاوة معنى عام يدخل فيه في بادئ الأمر حسن ترتيله، وأدائه أداء مجودا، ثم حفظه، والعمل به على الوجه الأكمل، ولا ريب في أن كيفية أداء القرآن الكريم كيفية متلقاة من أمين الوحي جبريل – عليه السلام – ، فكانت واجبة.

٣ – قوله تعالى: {قرآنا عربيا غير ذي عوج} (الزمر: ٢٨).

وجه الدلالة في الآية الكريمة: أن من قرأ القرآن بغير ترتيل، فقد خالف هذه الصفة من كونه عربيا، لأن اللحن والخطأ في القرآن يتنافيان وفصاحة القرآن العربي، فمن قرأه من غير ترتيل فقد قرأه على عوج، لأن الترتيل: تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف، فقراءة القرآن بسلامة، واستقامة تنفي عنه صفة العجمة، ونفي صفة العجمة عن القرآن واجب عن طريق علم التجويد، فكان واجبا.

٤ – سئل أنس – رضي الله عنه – : كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كانت مدا، مدا، ثم قرأ {بسم الله الرحمن الرحيم} يمد بسم الله، ويمد: {الرحمن}، ويمد {الرحيم} [٢].

---

[١] ابن يالوشة التونسي، الفوائد المفهمة، ص: ١٩، محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد، ص: ٧.

[٢] رواه البخاري، وانظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، باب مد القراءة، رقم (٥٠٤٥)، ٩ / ٩١.

٥ – وعن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقَطّع قراءته يقول: {الحمد لله رب العالمين} ، ثم يقف" ثم يقول: [الرحمن الرحيم] ثم يقف [1].

٦ – ما روي عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه كان يقرئ رجلا، فقرأ الرجل {إنما الصدقات للفقراء والمساكين} (التوبة: ٦٠) مرسلة – أي بلا مد – فقال ابن مسعود – رضي الله عنه – : ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: {للفقراء والمساكين}، فمدها [2].

وجه الدلالة في الأحاديث السابقة: أن النصوص السابقة تحكي فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك فعل بعض الصحابة – رضي الله عنهم – ، وهي تدل على أن قراءتهم كانت مرتلة مجودة، وهذا يؤكد ما ثبت في نصوص القرآن التي سبقت من أن العمل بأحكام التجويد أمر واجب، لاسيما أثر ابن مسعود – رضي الله عنه - ، فقد أنكر على القارئ تركه المد، والمد من أهم مباحث علم التجويد، فإنكاره عليه وأمره بإعادة الآية مرة أخرى يدل دلالة واضحة على وجوب ترتيل القرآن الكريم كما أنزل، ولو لم يكن المد واجبا لما أنكر عليه تركه.

٧ – إجماع الأمة على وجوب تلقي القرآن بالكيفية التي نزل بها الأمين جبريل – عليه السلام – على قلب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأحكام التجويد من ضمن تلكم الكيفية التي نزل بها القرآن، فكانت الأحكام واجبة [3].

وفي حكم التجويد يقول الحافظ ابن الجزري في مقدمته:

---

[1] رواه الترمذي، والحديث صحيح، وانظر: سنن الترمذي، كتاب القراءات، باب فاتحة الكتاب، رقم (٢٩٢٧)، ٥ / ١٨٥.

[2] رواه سعيد بن منصور في سننه، وابن الجزري في نشره، وصححه الألباني، وانظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١ / ٣١٥ – ٣١٦، والسيوطي، في الدر المنثور، ٣ / ٢٥٠.

[3] وقد أشار إلى الإجماع الإمام الحافظ ابن الجزري، وقد نص عليه حينما قال: إن الأمة متعبدون جميعا بتلاوة القرآن على النحو الذي نزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم وقد تلقوه، وأدوه على هذا النحو، وانظر: النشر في القراءات العشر، ١ / ٢١٠، وقد نص على الإجماع أيضا: العلامة المحقق: محمد مكي نصر، وانظر: نهاية القول المفيد في علم التجويد، ص: ٩، وممن نص عليه من المعاصرين: المرصفي، هداية القارئ، ص: ٤٠.

والأخذ بالتجويد حتم لازم   من لم يجوّد القرآن آثم
لأنـــه بـــه الإلـــه أنـــزلا   وهكذا منه إلينا وصلا [١]

حكم التجويد، وصلته بمفهوم اللحن، وأنواع اللحن:

لما كان التجويد من الناحية العملية واجبا وجوبا عينيا على كل مسلم ومسلمة بحسب طاقته ووسعه، كان مناسبا أن أتبع ذلك بالخطأ الذي يقع فيه القارئ، والذي جاء حكم الوجوب مانعا من وقوعه، وسيكون ذلك في النقاط التالية:

أولا: اللحن في اللغة: من معاني اللحن في اللغة الخطأ، ومخالفة الصواب، والميل عنه [٢]، وبه سمي الذي يأتي بالقراءة على ضد الإعراب لحنا، وسمي فعله اللحن، لأنه كالمائل في كلامه عن جهة الصواب، والعادل عن قصد الاستقامة، وهو المعنى المراد في اصطلاح القراء كما سيأتي [٣].

ثانيا: مفهوم اللحن عند القراء: اللحن في تلاوة القرآن الكريم هو: خطأ يطرأ على قراءة الكلمات القرآنية، سواء أكان خطأ ظاهرا أم خفيا، أخل بالمعنى أم لم يخل به.

وينقسم اللحن عند القراء إلى قسمين:

القسم الأول: اللحن الجلي: وهو كما عرفه ابن الجزري: خلل يطرأ على الألفاظ، فيخل بالمعنى، والعرف – أي عرف القراءة، وطريقتها – وخلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالعرف دون المعنى" [٤].

وقال السخاوي: "هو تغيير الإعراب، وقال غيره: "هو خطأ يعرض للفظ، ويخل بالمعنى، والإعراب كرفع المجرور، ونصبه، ونحوهما، سواء تغير المعنى، أو لا [٥].

---

[١] المقدمة الجزرية، ص: ٣.

[٢] محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد، ص: ٢٣.

[٣] ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص: ٦٢.

[٤] ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص: ٦١، ومحمد مكي نصر، نهاية القول المفيد، ص: ٢٣.

[٥] التمهيد، حاشية المحقق (٥) ص: ٦٢.

وقد عرفه من المتأخرين الشيخ المرصفي بقوله: "هو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بعرف القراءة سواء أخل بالمعنى أم لم يخل" [1].

وعرفه الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح القاري بقوله: "هو الخطأ الذي يطرأ على اللفظ فيخل بمبناه إخلالا ظاهرا يشترك في معرفته علماء القراءة، وعامة الناس سواء أدى ذلك إلى فساد المعنى، أم لم يؤد" [2].

وهذا النوع من الخطأ في القراء سمي جليا، لكونه يشترك في معرفته القراء، وعامة الناس، وحكمه التحريم بالإجماع [3].

الأمثلة:

أ – خلل يطرأ على الكلمة، فيخل بعرف القراءة مع تغيير المعنى:

١ – تغيير حركة بأخرى، كضم التاء أو كسرها في قوله تعالى: {أنعمت عليهم} (الفاتحة:٧)، فإذا قرأ القارئ فقال: "أنعمتُ عليهم" انقلب المعنى وفسد، فأصبح المعنى: أن القارئ هو المنعم، وهو ليس كذلك، لأن المنعم هو الله عز وجل.

٢ – ضم التاء، أو كسرها في قوله تعالى: {لم كتبت علينا القتال} (النساء:٧٧).

٣ – تحريك الساكن، كتحريك الميم "أنعمت" بالفتح في قوله تعالى: {أنعمت عليهم}.

٤ – تحريك الميم الساكنة في قوله تعالى: {ولا حرمنا} (الأنعام: ١٤٨).

٥ – إبدال حرف مكان حرف، كإبدال الطاء دالا، أو تاء، وذلك بترك إطباقها، من مثل: {يطبع} (الأعراف: ١٠١).

٦ – إبدال الطاء إلى تاء في لفظ: {الطامة} في قوله تعالى: {فإذا جاءت الطامة الكبرى} (النازعات: ٣٤}.

---

[1] هداية القارئ، ص: ٤٧.

[2] د. عبد العزيز عبد الفتاح القارئ، قواعد التجويد، ص: ٢٧، وانظر: عبد الرزاق موسى، الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية، ص: ٤٥.

[3] محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد، ص: ٢٣، والمرصفي، هداية القارئ، ص: ٤٨.

٧ – إبدال الذال إلى دال في لفظ: {ذكر} في قوله تعالى: {ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا} (الزخرف: ٣٦).

ب – خلل يطرأ على الكلمة، فيخل بعرف القراءة مع عدم تغيير المعنى:

١ – رفع الهاء أو نصبها في لفظ: {لله} في قوله تعالى: {الحمد لله} (الفاتحة:٢).

٢ – تحريك الدال بالضم في قوله تعالى: {لم يلد ولم يولد} (الإخلاص:٣) [١].

ويمكن القول: بأن وجوب التجويد إنما يكون فيما يتوقف عليه صحة النطق بالحرف من الأحكام، وذلك كمعرفة مخارج الحروف، ومعرفة الصفات التي تتميز بها عن بعض كالاستعلاء، والإطباق في الطاء، وكالتفشي في الشين، ومثل إظهار المظهر، وإدغام المدغم، وتفخيم المفخم، وترقيق المرقق، وما يجب مده، وقصر ما يلزم قصره، ونحو ذلك من الأحكام مما يتعلق ببنية الكلمة، فمن أخل بشيء من هذه الأحكام، فقد أخل بالواجب، وهو ما يسميه علماء القراءة: "بالواجب الشرعي" والإخلال به يسمى لحنا جليا، وهذا القسم يلزم كل قارئ للقرآن تحقيقه على قدر طاقته، وبذل وسعه في إتقانه، وهو ما يثاب على فعله، ويعاقب على تركه.

القسم الثاني: اللحن الخفي: "وهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالعرف – أي عرف القراءة – ولا يخل بالمعنى" [٢]، وقال السخاوي: "ألا يوفي الحرف حقه، وأن يقصر في صفته التي هي له، أو يزيد على ذلك"، وقال غيره: "هو خطأ يخل بالحرف كترك الإخفاء، والإقلاب، والغنة، ولا يخل بالمعنى، ولا بالإعراب" [٣].

وقد عرفه من المتأخرين الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح القارئ بقوله: هو الخطأ الذي يتعلق بكمال إتقان النطق لا بتصحيحه، فلا يدركه إلا أهل الفن الحذاق، ويخفى على العامة" [٤].

---

[١] ذكر الأمثلة محمد مكي نصر، وانظر: نهاية القول المفيد، ص: ٢٣.

[٢] محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد، ص: ٢٣.

[٣] ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، وحاشية المحقق، ص: ٦٢.

[٤] د. عبد العزيز عبد الفتاح القارئ، قواعد التجويد، ص: ٢٧، وانظر: عبد الرزاق موسى، الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية، ص ٤٥.

هذا، وينقسم اللحن الخفي إلى قسمين:

القسم الأول: وهو الذي يعرفه عامة علماء القراءة، ومثاله ترك الإدغام في موضعه، والإظهار، والقلب، والإخفاء، والغنة، وترقيق المفخم، وعكسه، وتخفيف المشدد، وقصر المدود، ومد المقصور .... والزيادة على مقدار الغنات، أو النقص فيها، أو الزيادة في مقدار المد، أو النقص عنه.

القسم الثاني: ويسمى صناعيا: وهو ما يتعلق بالمهارة في إتقان النطق الصحيح، وهو الوصول إلى أقصى غايات الإتقان في تحقيق الصفات والأحكام، ومثاله: تكرير الراءات، وتطنين النونات، وتغليظ اللامات في غير محله، وترعيد الصوت بالمد وبالغنة، وترك الغنة أو الزيادة على مقدارها، وضبط مقادير المدود ضبطا دقيقا بلا زيادة، ولا نقصان، وغيرها من الأمور مما يذهب برونق القراءة وحسن طلاوتها، ولقد اختلف القراء في حكم اللحن الخفي [١]، والذي يبدو – والله تعالى أعلم - ، أنه لابد من التفريق بين القسمين المتقدمين:

فالقسم الأول ليس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشديد، وإنما فيه خوف العتاب والملامة [٢].

أما القسم الثاني، فلا يأثم من وقع فيه غير عالم فيه، ولا مستطيع لتفاديه ذلك أن هذا اللحن لا يدركه إلا المهرة من القراء، والحذاق منهم، فتأثيم الأمة به مما يبعد عن الشريعة المنزلة تخفيفا، وتيسيرا على الأمة، مع كراهية الوقوع فيه، مع كونه مستحبا، يحسن النطق به حال الأداء.

---

[١] ذهب الإمام البركوي في شرحه على الدر اليتيم إلى حرمة اللحن الخفي مطلقا، وعلل ذلك بأنه يخل باللفظ لفساد رونقه، وذهاب طلاوته، وتبعه في ذلك الشيخ المرصفي، هداية القارئ، ص: ٤٨، وما بعدها، وذهب الشيخ ملا قاري في شرحه للجزرية إلى القول بعدم تأثيم من حصل منه اللحن الخفي، وتابعه عليه جماعة من المتأخرين، منهم د. عبد العزيز عبد الفتاح القارئ، ود. محمد موسى نصر، وغيرهم، وانظر: محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد ص: ٢٣ – ٢٤، والمرصفي، هداية القارئ، ص: ٤٨، ود. القارئ، قواعد التجويد، ص: ٢٨، ود. محمد موسى نصر، القول المفيد، ص: ٢٨، والذي يبدو أنه الصواب: هو التفريق الذي بينته في صلب البحث.

[٢] محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد، ص: ٢٣ – ٢٤، والمرصفي، هداية القارئ، ص: ٥٠.

وهذا القسم يتعلق بالمتقنين، ولا يجب على عامة الناس بلوغه، ولا يطالبون به، ولا يأثمون بتركه، مع أن الأولى الإتيان به [١].

وفي ذلك يقول الحافظ ابن الجزري: "ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن، وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها، ولا العدول عنها إلى غيرها.

والناس في ذلك بين محسن مأجور ومسيء آثم أو معذور، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح، وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي، أو النبطي القبيح، استغناء بنفسه، واستبدادا برأيه وحدسه واتكالا على ما ألف من حفظه، استكبارا عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه، فإنه مقصر بلا شك، وآثم بلا ريب ... أما من كان لا يطاوعه لسانه، أو لا يجد من يهديه إلى صواب بيانه فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها ..." [٢].

وفي أنواع اللحن، وحكمها يقول العلامة السمنودي:

اللحن قسمان جلي وخفي	كل حرام مع خلاف في الخفي
أما الجلي فهو مبنى غيرا	ثم خفي ما على الوصف طرا
وواجب شرعا تجنب الجلي	وواجب صناعة ترك الخفي [٣]

❖❖❖

[١] محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد، ص: ٢٤ – ٢٥، وانظر ما سبق بتصرف يسير، د. القارئ، قواعد التجويد ص: ٢٦، والمرصفي، هداية القارئ، ص: ٤٨.

[٢] النشر في القراءات العشر: ١ / ٢١٠ – ٢١١.

[٣] انظر هذه الأبيات: عطية نصر، هداية المريد في علم التجويد، ص: ٤٢.

البدعة وأشهر المؤلفات فيها

الشيخ وحيد بن عبد السلام بالي

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. والصلاة والسلام على رسول الله، الذي تركنا على المحجة البيضاء، والصراط المستقيم، والدين القويم.

وبعد:

فمنذ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة".

والصحابة رضوان الله عليهم يحذرون من المحدثات، ولذلك لما رأى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوما في المسجد حلقا حلقا، وبين أيديهم حصى، وفي كل حلقة رجل يقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة.

ثم يقول: هللوا مائة [١]، فيهللون مائة.

ثم يقول: سبّحوا مائة، فيسبحون مائة.

فأنكر عليهم وقال: ويحكم، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد صلى الله عليه وسلم، أومفتتحوا باب ضلالة" [٢].

والذكر والتسبيح عبادة مشروعة، ولكن ابن مسعود رضي الله عنه أنكر عليهم الهيئة أو الطريقة التي أحدثوها، لأنها لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أو خلفائه الراشدين.

وهكذا ظل الصحابة والتابعون، ومن بعدهم من الأئمة المهديين ينكرون على من أحدث في دين الله شيئا، صيانة لجناب الشريعة من التحريف والتغيير والتبديل.

---

[١] التهليل: قول: لا إله إلا الله.

[٢] حسن: رواه الدارمي (٢٠٤) بسند حسن.

أشهر المؤلفات في البدع والمحدثات:

فلما كثرت البدع أفردها بعض العلماء بمصنفات خاصة، فمن ذلك:

١ – البدع والنهي عنها:

للإمام الحافظ: محمد بن وضاح القرطبي رحمه الله تعالى المتوفى سنة (٢٨٦هـ).

حيث روى فيه بإسناده جملة صالحة من الأحاديث والآثار في ذم البدع ووجوب التمسك بالسنة.

ومن أبرز أبوابه:

١ – باب ما يكون بدعة.

٢ – باب إحداث البدع.

٣ – باب تغيير البدع.

٤ – باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان.

٥ – كراهية اجتماع الناس عشية عرفة.

٦ – النهي عن الجلوس مع أهل البدع.

٧ – باب هل لصاحب البدعة توبة؟

٨ – قصة صبيغ العراقي.

٩ – باب في نقض عرى الإسلام وظهور البدع.

٢ – الحوادث والبدع:

للإمام أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي – رحمه الله تعالى – المتوفى سنة (٥٢٠هـ).

وقد نقل عن ابن وضاح في خمسة مواضع، ولكن كتابه أوعب من كتاب ابن وضاح.

وقد أكثر الإمام الطرطوشي من النقل عن الإمام مالك، حيث نقل عنه في أكثر من ٩٠ موضعا.

وقد بين الطرطوشي هدفه من تأليف هذا الكتاب حيث قال: هذا كتاب أردنا أن نذكر فيه جملا من بدع الأمور ومحدثاتها، مما ليس له أصل في كتاب الله، ولا في سنة نبيه ولا إجماع ولا غير ذلك.

فألفيت ذلك ينقسم إلى قسمين:

- قسم تعرفه الخاصة والعامة أنه بدعة محدثة، إما محرمة وإما مكروهة.
- وقسم يظنه معظمهم – إلا من عصمه الله – عبادات وقربا وطاعات وسننا.

فأما القسم الأول: فلم نتعرض لذكره، إذ كفينا مؤنة الكلام فيه باعتراف فاعله أنه ليس من الدين.

وأما الثاني: فهو الذي قصدنا جمعه، وإيقاف المسلمين على فساده، ووبال عاقبته.

وقد قسم كتابه إلى أربعة أبواب:

الباب الأول: فيما انطوى عليه الكتاب العزيز من الأمور التي ظاهرها سلم جرَّت إلى هلك.

الباب الثاني: في ما اشتملت عليه السنة من التحذير من الأهواء والبدع.

الباب الثالث: في منهاج الصحابة رضي الله عنهم في إنكار البدع، وترك ما يؤدي إليها.

الباب الرابع: في نقل غرائب البدع وإنكار العلماء لها.

٣ – تلبيس إبليس:

للإمام الحافظ أبي الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى المتوفى (٥٩٧هـ) وهو أشمل من الكتابين السابقين وأدق ترتيبا. فقد قسمه إلى ١٣ بابا.

الباب الأول: في الأمر بلزوم السنة والجماعة.

الباب الثاني: في ذم البدع والمبتدعين.

الباب الثالث: في التحذير من فتن إبليس ومكائده.

الباب الرابع: في معنى التلبيس والغرور.

الباب الخامس: في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات.

الباب السادس: في ذكر تلبيسه على العلماء في فنون العلم.

الباب السابع: في ذكر تلبيسه على الولاة والسلاطين.

الباب الثامن: في ذكر تلبيسه على العُبّاد في فنون العبادات.

الباب التاسع: في ذكر تلبيسه على الزّهاد.

الباب العاشر: في ذكر تلبيسه على الصوفية.

الباب الحادي عشر: في ذكر تلبيسه على المتدينين بما يشبه الكرامات.

الباب الثاني عشر: في ذكر تلبيسه على العوام.

الباب الثالث عشر: في ذكر تلبيسه على الكل بتطويل الأمل.

٤ – الباعث على إنكار البدع ولحوادث:

للإمام أبي شامة المقدسي رحمه الله المتوفى (٦٦٥هـ).

ومن أهم فصوله:

١ – تحذير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من البدع.

٢ – فصل في إنكار المنكر وإحياء السنن.

٣ – فصل في معنى وأصل البدعة.

٤ – فصل في تقسيم الحوادث إلى بدع مستحسنة ومستقبحة.

٥ – فصل فيما اشتهر من البدع في بلاد الإسلام.

٥ – اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم:

للإمام العلَم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى المتوفى سنة (٧٢٨هـ).

وتحدث فيه عن جملة كبيرة من البدع تسبب في دخولها إلى بلاد الإسلام تشبه بعض المسلمين باليهود أو النصارى أو الكافرين.

ومن أهم مباحثه:

- فصل في وجوب اتباع الكتاب والسنة والبعد عن مشابهة الكفار.
- فصل في مخالفة غير المسلمين في العبادات والعادات.

- فصل في الأمر بمخالفة أعياد المشركين.
- فصل في ما أحدثه المسلمون من البدع في الأعياد.
- بدع القبوريين والرد عليها.

ونثر فيه مسائل تدعو الحاجة إليها مثل:

- حكم التكلم بغير العربية.
- وحكم هدايا الكفار في عيدهم.
- حكم الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ... وغيرها.

٦ – الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

لشيخ الإسلام ابن تيمية أيضا.

وتحدث فيه عن بدع وخرافات أولياء الشيطان من القبوريين والمبتدعة.

وفرّق فيه بين الكرامات الحقيقية للأولياء وبين خوارق العادات التي تحدثها الشياطين لأوليائهم من المبتدعة والقبوريين.

٧ – المدخل

لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي الشهير بابن الحاج رحمه الله تعالى المتوفى (٧٣٢هـ).

ذكر فيه جملة كبيرة جدا من البدع المنتشرة في زمانه ورتبها على أبواب الفقه.

وأسماه (المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت، وبيان شناعتها).

فكان يذكر ما ينبغي أن ينويه العبد في عمله ثم يردفه ببعض البدع المتعلقة بذلك.

فمن ذلك:

- البدع المتعلقة بالوضوء والصلاة والمساجد.
- بدع النساء في الثياب والخروج والاجتماع وغيرها.
- بدع المولد.

- مواسم أهل الكتاب.
- بدع الأذان.
- بدع الجمعة والصلوات.
- آداب المجاهد، وبدع الجهاد.
- بدع المتصوفة.
- بدع الصناعات كالفلاحة، والخياطة، والعطارة، والتجارة، وبدع الصائغ والصيرفي والطباخ ونحوهم.

ولكن هذا الكتاب يحتوي على كثير من البدع التي كانت في زمن المؤلف ثم اندثرت وليس لها وجود الآن.

المؤاخذات على كتاب المدخل:

برغم ما حواه كتاب المدخل من التنبيه على عدد كبير من البدع إلا أن ابن الحاج نفسه قد وقع في عدة أخطاء جسيمة منها:

١ – القول بجواز التبرك بالقبور.

٢ – القول بجواز التوسل بالأموات.

٣ – القول بجواز الذهاب إلى القبور للدعاء عندها.

٤ – جواز اتخاذ المقبورين وسطاء إلى الله في الدعاء وغيره.

وقد تعقبه د. محمد بن عبد الله الخميس في رسالة بعنوان:

"المنخل لغربلة خرافات ابن الحاج في المدخل" [1].

حيث تعقبه في ستة وعشرين موضعا، فأفاد وأجاد.

٨ – الاعتصام:

للإمام الأصولي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي رحمه الله تعالى المتوفى سنة (٧٩٠هـ).

ويعتبر أول من رتب علم البدعة وقعّد قواعده وأصل أصوله.

---

[1] ضمن مجموع له بعنوان "التنبيهات السنية على الهفوات العقدية".

وهو يتميز بعمق الاستدلال، وضرب الأمثال.

وقد قسم كتابه إلى عشرة أبواب:

الباب الأول: تعريف البدع.

الباب الثاني: ذم البدع وسوء منقلب أهلها.

الباب الثالث: ذم البدع عام لا يخص محدثة دون غيرها.

الباب الرابع: مآخذ أهل البدع بالاستدلال.

الباب الخامس: أحكام البدعة الحقيقية والإضافية.

الباب السادس: أحكام البدع وأنها ليست على رتبة واحدة.

الباب السابع: هل يدخل الابتداع في الأمور العادية؟

الباب الثامن: الفرق بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان.

الباب التاسع: السبب الذي لأجله افترقت فرق المبتدعة عن جماعة المسلمين.

الباب العاشر: معنى الصراط المستقيم الذي انحرفت عنه سبل أهل الابتداع.

فهو كتاب قيم، فيه بحوث شائقة، ومسائل ماتعة.

٩ – اللُّمع في الحوادث والبدع [1]:

صفي الدين ابن التركماني المتوفى (٨٥٠هـ) تقريبا.

١٠ – البدع والحوادث:

أحمد بن أحمد البرنسي الفاسي المتوفى (٨٩٩هـ).

١١ – الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع:

الإمام السيوطي المتوفى (٩١١هـ).

١٢ – إحياء السنة وإجماد البدعة:

عثمان بن فودى المتوفى (١٢٣٢هـ).

---

[1] كنت سأسير على نفس المنهج من التعليق على كل كتاب إلا أنني رأيت ذلك يطول ويثقل على القارئ، فبدأت من هنا أسرد الكتب سردا فقط.

١٣ – الإبداع في مضار الابتداع:

الشيخ علي محفوظ رحمه الله المتوفى (١٣٦٠هـ) أو بعدها.

١٤ – السنن والمبتدعات:

محمد بن أحمد بن عبد السلام الشقيري رحمه الله.

١٥ – إصلاح المساجد من البدع والعوائد:

محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله.

١٦ – الرد عل أهل الأهواء والبدع:

محمد بن أحمد الملطي الشافعي.

١٧ – البدعة أسبابها ومضارها:

محمود شلتوت رحمه الله.

١٨ – ردع الأنام عن محدثات عاشر المحرم الحرام:

أبو الطيب محمد عطاء الله حنيف.

١٩ – أصول في السنن والبدع:

محمد أحمد العدوي رحمه الله.

٢٠ – بدع الجنائز (في نهاية أحكام الجنائز).

٢١ – بدع الحج (في نهاية مناسك الحج والعمرة).

كلاهما للعلامة المحدث ناصر الدين الألباني رحمه الله.

٢٢ – كمال الشرع وخطر الابتداع:

للعلامة محمد الصالح بن عثمين رحمه الله.

٢٣ – تحذير المسلمين من الابتداع في الدين:

ابن حجر آل بوطامي.

٢٤ – البدعة:

عزت عطية.

٢٥ – معجم المناهي اللفظية:

٢٦ – تصحيح الدعاء:

وأفرد فصلا منه في رسالة بعنوان (بدع القراء).

٢٧ – الردود.

٢٨ – جزء في مسح الوجه باليدين بعد رفعهما للدعاء:

الأربعة لفضيلة الدكتور بكر بن عبد الله أبي زيد رحمه الله.

٢٩ – بدع القراء:

محمد موسى نصر.

٣٠ – القول المبين في أخطاء المصلين.

٣١ – كتب حذر منها العلماء:

كلاهما لمشهور بن حسن سلمان، وقد أفاد منه من كتب بعده في أخطاء المصلين.

٣٢ – المسجد في الإسلام:

خير الدين وانلي.

٣٣ – مخالفات في الطهارة والصلاة والمساجد:

عبد العزيز السدحان.

٣٤ – أحكام التشميت وبدعها.

٣٥ – الإعلام بذكر المصنفات التي حذر منها شيخ الإسلام.

٣٦ – تصحيح الأوهام الواقعة في فهم أحاديث الرسول عليه السلام.

٣٧ – منكرات البيوت.

٣٨ – منكرات الأسواق.

٣٩ – معجم البدع.

كلها تأليف: رائد بن أبي علفة.

٤٠ – حقيقة البدعة:

سعيد الغامدي.

٤١ – المنظار في بيان كثير من الأخطاء الشائعة.

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

٤٢ – تحذير الراكعين الساجدين ببعض أخطاء المصلين:

عبده الأقرع.

٤٣ – أخطاء المصلين:

محمد صديق المنشاوي السوهاجي.

٤٤ – أخطاء المصلين:

محمود المصري.

٤٥ – جامع أخطاء المصلين:

مسعد كامل.

٤٦ – المنهيات الشرعية في صفة الصلاة:

عبد الرؤوف الكمالي.

٤٧ – مبتدعات وعادات:

د / محمد عبد القادر أبو فارس.

٤٨ – السنن والمبتدعات:

عمرو سليم.

٤٩ – الأقوال النافعة لإزالة بعض المنكرات الواقعة:

علي بن عبد العزيز موسى.

٥٠ – سلسلة أخطاء في السلوك والتعامل:

محمد بن إبراهيم الحمد.

٥١ – التنبيهات السنية على الهفوات العقدية في بعض الكتب العلمية:

د / محمد بن عبد الرحمن الخميس.

٥٢ – البدع والمحدثات وما لا أصل له:

حمود بن عبد الله المطر.

٥٣ – علم أصول البدع:

علي بن حسن الحلبي.

٥٤ – بدع الاعتقاد:

محمد حامد الناصر.

كيف تعرف البدعة؟

قال الألباني رحمه الله: البدعة المنصوص على ضلالتها من الشارع هي:

١ – كل ما عارض السنة من الأقوال أو الأفعال، أو العقائد ولو كانت عن اجتهاد.

٢ – كل أمر يتقرب إلى الله به، وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣ – كل أمر لا يمكن أن يشرع إلا بنص أو توقيف، ولا نص عليه، فهو بدعة إلا ما كان عن صحابي.

٤ – ما ألصق بالعبادة من عادات الكفار.

٥ – ما نص على استحبابه بعض العلماء سيما المتأخرين منهم، ولا دليل عليه.

٦ – كل عبادة لم تأت كيفيتها إلا في حديث ضعيف أو موضوع.

٧ – الغلو في العبادة.

٨ – كل عبادة أطلقها الشارع، وقيدها الناس ببعض القيود مثل المكان أو الزمان أو صفة أو عدد. اهـ [1].

وهذه قواعد أجدر أن تكتب بماء الذهب، فهي عن خبرة واستقراء، وعصارة فكر، وثمرة اطلاع.

❖❖❖

---

[1] أحكام الجنائز (٢٤٢).

الإسلام واليوم العالمي للمرأة

محمد محبوب عالم
جامعة جواهر لال نهرو

تحتفل نساء العالم باليوم العالمي للمرأة بالتحديد يوم ٨ من مارس كل عام، وكانت الدعوة الدولية إلى تخصيص اليوم الثامن من مارس كل عام للاحتفال بهذا اليوم انتصارا كبيرا للمرأة في أنحاء العالم – وخاصة المرأة الغربية التي عانت ولا تزال تعاني من ضروب متعددة للتمييز ضدها.

وكانت الاشتراكية الألمانية"كلارازيتكين" أول من دعت إلى الاحتفال بيوم المرأة العالمي، ونجحت في إقناع الرئيس لينين بجعله يوم عطلة عامة في الاتحاد السوفيتي السابق، ولكن فكرة اليوم العالمي للمرأة تبلورت في مؤتمر كوبنهاغن عام ١٩١٠م، واحتفل به الغرب في الثلاثينات، ولكن ما لبث أن طواه النسيان حتى السبعينات حينما أحييته الأمم المتحدة من جديد، وساعدت على جعل الاحتفال فرصة لحشد الجهود المتضافرة للمطالبة بحقوق المرأة ومشاركتها في شتى المجالات بما فيها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها من الأمور الأخرى، وتحول بالتالي ذلك اليوم إلى رمز لنضال المرأة تخرج فيه النساء عبر العالم في مظاهرات للمطالبة بحقوقهن، وفيه تعلو أصوات الكثير من المنظمات النسائية والحقوقية وأجهزة الإعلام وغيرها من المؤسسات التي تنادي بالمساواة مع الرجل في كل شيء، وفيه تخرج في بعض الدول مظاهرات نسائية تطالب بأمور كثيرة بشأن حقوقها، ولعل من أبرزها المطالبة بحق المرأة بالإجهاض وقتل جنينها.

والغريب أن من ينادي بحقوق المرأة هم من الجاهلين بأمور الدين والطامعين في تعرية وتضليل المرأة، ويعقدون ندوات ومؤتمرات وطنية ودولية حول ضمان حقوق المرأة

وكيفية صيانة كرامتها وحماية شرفها، ولكن هل هذه الندوات والمؤتمرات تجلب أي فائدة لضمان حقوق المرأة وعزها وشرفها، وتحقق أهدافها وأغراضها. وفي الحقيقة إن من ينادون بحرية المرأة اليوم لا يريدون حريتها بل يريدون حرية الوصول إليها، متناسين أن الدور الأهم للمرأة هو تربية الجيل والنشء، وإنهم أخذوا بالحضارة الغربية التي عششت في أذهانهم وغيرت من سلوكهم، الحضارة التي تجعل من المرأة قطعة فنية للمتعة الجسدية، وسلعة تباع وتشترى، فأقروا لها يوما أسموه يوم المرأة العالمي، وحضوا المرأة على المطالبة بالمساواة مع الرجل مساواة كاملة في جميع مجالات الحياة، فأدخلوا عليها مفهوم الجندر، لتقوم بوظيفة الرجل وقالوا لها لا تتقيدي بأحكام الدين ولا تلبسي جلبابا ولا خمارا فهذا تخلف ورجعية، واعملي ما شئت بما تطيقين وما لا تطيقين، ضاع عرضك أم لم يضع، ولا تتزوجي إلا بعد الثامنة عشرة أو بعدها، وفتحوا لها كل الأبواب بحرية مطلقة، فتمارس ما تريد في أي وقت وحين، وأباحوا لها الاختلاط بحاجة ودون حاجة، وإن تم الحمل بعلاقة غير شرعية فباب الإجهاض مفتوح، ثم إن كانت متزوجة فلا تدع الرجل يمارس قوامته عليها، وإن قام بتأديبها بسبب نشوزها فأوهموها أن هذا عنف، وحتى إن قام والدها قبل زواجها برعايتها وتربيتها وتأديبها فلتقم برفع الدعوى عليه رسميا.

إن الحضارة الغربية التي تنادي بالحرية الشخصية تهيئ كل الأجواء وتفتح كل الأبواب لإيذاء المرأة والتعرض لها، وقد حضت الشباب من الجنسين للخروج على التقاليد التي كانت مفروضة عليهم، ودعتهم لممارسة الجنس كيف شاؤوا، فظهرت الكتب الجنسية التي ألفت ليتلذذ القارئ بالجنس، وظهرت دور السينما والمسارح التي استغلت جسد المرأة وأنوثتها مما أوجد وضعا جديدا للمرأة في أوربا، وصارت المرأة لا قيمة لها إن شوهت أو أصيبت بمرض أوعاهة أو كبر سن، وقيمتها عندهم تكمن في صغر سنها وجمالها وجاذبيتها الجنسية.

أما الدين الإسلامي وأحكام الشريعة فهي أعظم القوانين التي أنصفت المرأة على مر التاريخ، وقد أنقذها القرآن والسنة في زمن لم تكن المرأة تحلم حتى بالحياة فيه، ولم تشهد المرأة في شتى العصور والأزمنة نصيرا وراعيا وحافظا ومكرما كالإسلام، ولا يمكن لأحد أن يأتي بشيء في الدنيا بمثل ما جاء الإسلام من شرائع العدل والإحسان والرفق والرحمة بالإنسان، وقبل الإسلام كان الوأد البشع مصير الكثيرات من الإناث، يقول الله عزوجل: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ" (سورة النحل الآية: ٥٨- ٥٩)، فقد ظلمها أهل الجاهلية ظلما فادحا وآثروا البنين على البنات، فضاع الكثير من البنات، وابتعدت الشفقة والرحمة وغابت العدالة، ولم يكن هناك إلا الكراهية والجور والإهانة والسخرية التي كانت تواجهها في البيت والأسرة والمجتمع والطرق والأسواق وغيرها.

فجاء الإسلام ليعطي المرأة جميع حقوقها، فقد دفع الظلم عن المرأة وخلصها من الأغلال والبغض، وجعل لها حقوقا لم تكن تعرفها من قبل، كالميراث والانفراد بتدبير أمورها وامتلاك إرادتها والتصرف في ملكيتها الخاصة واختيار زوجها وطلب العلم وغيرها، مما يؤكد أن الإسلام أسبغ نعمته عليها ورد كرامتها وصان حريتها وأحاط مسيرتها بالإجلال والعدل والإحسان والرعاية، وأعطاها حق التعليم والتعلم بما لا يخالف دينها. بل إن من العلم ما هو فرض عين على كل مسلم يأثم تاركه ذكرا كان أو أنثى. ونالت حقها في البيعة والقصاص وتولت أمور البيع والشراء والاستثمار.

ومن القضايا المهمة التي اهتم بها الإسلام وأولاها عناية فائقة وأكد عليها بنصوص ثابتة حماية المرأة وبيان حقوقها وإبراز مكانتها في المجتمع، فالقرآن العظيم يعتني بالمرأة للغاية ويبين مكانتها في الحياة، ولقد بلغت تلك المكانة مداها حين جاءت بعض سور القرآن باسم المرأة كسورة مريم، ووردت في القرآن عدد كبير من الآيات للحديث عن أحوال النساء في أمورهن الخاصة والعامة كما جاء في سورة البقرة وسورة

النساء وسورة الطلاق وسورة المجادلة وغيرها، فأصبحت المرأة غالية عندالله. وكماأوصى النبي صلى الله عليه وسلم بها كثيرا فقال: "استوصوا بالنساء خيرا"(متفق عليه)، وجعل خير الرجال من كان يحسن لزوجته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"(رواه الترمذي)، وساوى الإسلام بينها وبين الرجل في العقيدة وساوى بينهما في العبادات والتكاليف، كما ساوى بينهما في الأجر والجزاء قال الله تعالى: "فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ" (سورة آل عمران الآية: ١٩٥)، فالنساء شقائق الرجال كما قال الله تعالى: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (سورة التوبة الآية:٧١).

فماذا نقول عن حقوق المرأة في الإسلام، الإسلام الذي أكرمها في أي حال كانت بما لم يكرمها به دين سواه، فهي إذا كانت أما، كان برها مقرونا بحق الله تعالى، وعقوقها والإساءة إليها مقرونا بالشرك بالله والفساد في الأرض، قال الله تعالى: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا" (سورة الإسراء الآية:٢٣)، وإذا كانت بنتا قد حرم وأدها وأمر بتربيتها أحسن تربية وأمر بالإحسان إليها، وجعل ذلك طريقا إلى الجنة ووقاية من النار "من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار" (متفق عليه)، وأما إذا كانت أختا فقال النبي صلى الله عليه وسلم:"من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو ابنتان، أو أختان، فأحسن صحبتهن، واتقى الله فيهن فله الجنة" (رواه الترمذي)، وأما إذا كانت المرأة خالة فإن منزلتها مثل الأم وحقها في المعاملة مثل الأم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:"الخالة بمنزلة الأم" (متفق عليه)، وأما إذا كانت زوجة فحقوقها كثيرة فهي

حرة في اختيار الزوج، فالبكر لا تنكح حتى تستأذن والثيب حتى تستأمر. ومن حقها المهر والنفقة عليها والسكن والملبس كما أن من حقها أن يعلمها زوجها أصول دينها.

وأما المرأة الغربية إذا كانت أمًا فهي لا تعرف طعم البر ولا الإحسان، لأنها أصلاً في الغالب لم تنجب أولادها إلا من الزنا، ولا يعرف الأولاد منها الرحمة أو الأمومة إلا شيئًا يسيرًا فطريًا، بل المرأة الغربية اليوم تطالب بوأد وقتل طفلها وهو في بطنها،(الأمر الذي لم تفعله المرأة بالجاهلية، بل ولا تفعله كل حيوانات العالم إلا نساء الغرب)، وأما إذا كانت المرأة زوجة فيكفي أن نعرف حقوقها في إحصائيات جرائم العنف ضد الزوجات أو العشيقات المسجلة في أمريكا وأوروبا، فالجرائم تبدأ من الضرب والحبس والتجويع والحرق بالنار والتشويه حتى القتل، وأما الفتاة العزباء في الغرب فهي مجرد وسيلة لقضاء الشهوات وممارسة الجنس، فهذه هي حقوق المرأة الغربية، عنف واضطهاد وتعذيب واستغلال جنسي واستعباد وقتل، ومثقفونا يطالبون بأن تقتدي المرأة المسلمة بالغربية، فالرجال في الغرب لا يريدون من المرأة إلا الاستمتاع بها في الجنس لا أكثر، ثم ترون حالها كحال علكة تمضغ ثم ترمى، ويقولون بعد ذلك "حررنا المرأة وأعطينا حقوقها بكامل معناها". فأين النظم الأرضية من نظم الإسلام العادلة السماوية. فالنظم الأرضية لا ترعى للمرأة كرامتها، حيث يتبرأ الأب من ابنته حين تبلغ سن الثامنة عشرة أو أقل، لتخرج هائمة على وجهها تبحث عن مأوى يسترها، ولقمة تسد جوعتها، ولكن الإسلام قد حفظها من المخاطر وحماها من كل ما يهدد أنوثتها وشرفها، وطالبها بالفضيلة والحشمة والطهر والعفة واجتناب التبرج وكل ما يقود إلى الابتذال والسفور والإباحية والانطلاق إلى الشهوات والمنكرات، وأمرها بعدم إظهار الزينة والمحاسن لغير المحارم حتى لا تثير بذلك الفتنة وتحرك قلوب الرجال وكذلك أمر بغض البصر عنها.

فالحياء يقوم بدور كبير في صيانة المرأة، وهو وازع يعصمها من اقتراف الآثام وارتكاب الدنايا، وهو رمز الصلاح والإصلاح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء"(رواه ابن ماجه).

ولكن الحضارة المعاصرة لا تكاد تعرف شيئاً من تلك المعاني، وإنما تنظر للمرأة نظرة مادية بحتة، فترى أن حجابها وعفتها تخلف ورجعية، وأنها لابد من أن تكون دمية يعبث بها كل من يشاء، فذلك سر السعادة عندهم، وما علموا أن تبرج المرأة وسفورها هو سبب شقائها وعذابها، وإلا فما علاقة التطور والتعليم بالتبرج والاختلاط وإظهار المفاتن وإبداء الزينة وكشف الصدور والأفخاذ، وهل من وسائل التعليم والثقافة ارتداء الملابس الضيقة والشفافة والقصيرة، ثم أي كرامة حين توضع صور الحسناوات في الإعلانات والدعايات، ولماذا لا تروج عندهم إلا الحسناء الجميلة، فإذا استنفدت السنوات جمالها وزينتها أهملت ورميت كأي آلة انتهت مدة صلاحيتها، فالزعم بأن العفاف والستر تخلف ورجعية هو زعم باطل، بل إن التبرج والسفور هو الشقاء والعذاب للمرأة.

فالحل الوحيد والعلاج الناجح للحصول على حقوقها بشكل كامل أن تأخذ بالأحكام التي أنزلها خالقها ولا تلفت لمفاهيم الغرب وحضارته الزائفة وشعاراته البراقة التي هي وعود من الشيطان، "يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا" (سورة النساء الآية: ١٢٠)، وقال في آية أخرى: "وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا" (سورة النساء الآية: ٢٧)، فلا مجال للإنسان أن يتدخل ويشرع عن الله، ولا يصح له أن يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله.

❖❖❖

من أخبار الجامعة السلفية

بعد إجازة الصيف وإجازة رمضان المبارك وإجازة عيد الفطر تفتح الجامعة أبوابها للعام الدراسي الجديد ٣٦ – ١٤٣٥ هـ = ١٥ – ٢٠١٤ م، وذلك في يوم السبت: ١١ / ١٠ / ١٤٣٥ هـ = ٩ / ٨ / ٢٠١٤ م، وقد أعلنت إدارة القبول والتسجيل بالجامعة منذ فترة أن اختبار القبول ينعقد في يومي الأحد والاثنين ١٢ – ١٣ / ١٠ / ١٤٣٥ هـ = ١٠ – ١١ / ٨ / ٢٠١٤ م حيث يكون الاختبار التحريري في اليوم الأول والاختبار الشفوي في اليوم الثاني. ويسمح بالمشاركة في اختبار القبول للطلاب الذين سبق أن قاموا بملء استمارة الالتحاق في الموعد المحدد.

يجدر بالذكر أن القبول ينحصر في: (١) قسم التحفيظ (٢) قسم التجويد (٣)السنوات الأولى في كل مرحلة من مراحل: المتوسطة والعالمية والفضيلة. لأن لوائح الجامعة تنص على عدم السماح للالتحاق في ما بعد السنوات الأولى في كل مرحلة. فالطالب لا يستحق أن يحصل على شهادة أي مرحلة إلا إذا درس كل مقررات المرحلة وفي مدتها المحددة. ومدة كل مرحلة كالتالي:

١ – المتوسطة	٣ / سنوات
٢ – الثانوية	سنتان
٣ – العالمية	سنتان
٤ – الفضيلة	٣ / سنوات
٥ – التجويد والقراءات	سنتان
٦ – تحفيظ القرآن الكريم	٣ / سنوات

هذا، وبعد الانتهاء من إجراءات القبول في اليومين المذكورين يخصص يوم الثلاثاء لإعارة الكتب الدراسية للطلاب من المكتبة المركزية للجامعة. وتبدأ الدراسة النظامية في يوم الأربعاء ١٥ / ١٠ / ١٤٣٥ هـ = ١٣ / ٨ / ٢٠١٤م. وكانت إدارة الجامعة أعلنت أن على جميع الطلاب القدامى الوصول إلى الجامعة في موعد أقصاه يوم الثلاثاء: ١٤ / ١٠ / ١٤٣٥ هـ = ١٢ / ٨ / ٢٠١٤ م. فعلى جميع هؤلاء الطلاب الالتزام بهذا الموعد وعدم التأخير عنه.

❖❖❖